حكاياتنا

قصص قصيرة ونصوص متنوعة

علا سمير الشربيني

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

حكاياتنا
قصص قصيرة ونصوص متنوعة
تأليف: علا سمير الشربيني
مراجعة لغوية: محمد محمود
فكرة ورسم الغلاف: علا سمير الشربيني
جرافيك وتنسيق داخلي : مصطفى كريم
الصور الداخلية مأخوذة من شبكة الإنترنت، وملكيتها الفكرية محفوظة لأصحابها
طبعة : أغسطس ٢٠١٨
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٤٣٣٧ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 695 - 1

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهـــــــداء

إلى كل من ألهمني فكرة إحدى الحكايات...
إلى كل من دعمني، وشجعني على المواصلة،
رغم كل الإحباطات والصعوبات...
إلى كل الجنود المجهولين

أهدي كتابي

علا سمير الشربيني

المحتويات

- المسابقة		٥
- كوبون مسابقة كتاب «حكاياتنا»		٦
١-رفيقة العمر		٧
٢-مستقبل العالم		١٠
٣- قطعة الشطرنج		١٣
٤- حسابات الحب		٢٧
٥- ميكروباصيات	(قصص قصيرة جدا)	٣٢
٦- قبل العاصفة		٤١
٧- جحود		٤٦
٨- أنا في انتظارك		٥١
٩- رجل المهام الصعبة		٥٦
١٠- من أنت أيها الرجل؟	(مقال)	٥٨
١١- جنت على نفسها براقش		٦٣
١٢- «دودو»	(خواطر)	٦٩
١٣- السؤال الحائر		٧٢
١٤ - كائنات طفيلية		٧٨
١٥- يحدث في شوارعنا	(قصص قصيرة جدا)	٨٦
١٦- أن تكون موظفا مؤقتًا	(مقال)	٩٢
١٧- الهروب من الوباء		٩٦
١٨- المجرمون		١٠١
- نبذة عن الكاتبة		١٠٦

المسابقة

أثناء التحضير لصدور كتابي الأول (مدموزيل من فضلك)، بحثت عن فكرة مبتكرة للفت الانتباه وجذب القاريء لعمل يحمل اسم مؤلفة تنشر لأول مرة، بالإضافة لمحاولة اجتذاب بعض الأشخاص من غير المقبلين على القراءة، بشيء ربما يهتمون به، وجاءت فكرة المسابقة... لكن بقيت الجوائز أمامي عقبة، فأنا غير قادرة على تقديم جوائز لها قيمة مالية عالية نظرًا للميزانية المحدودة، وفي الوقت نفسه لا جدوى من تقديم جوائز غير قيّمة.

وهنا فكرت في استغلال مهارة الرسم التي حباني بها الله، واستغلالها في الترويج لكتابي، وقررت أن تكون جوائز مسابقة الكتاب عبارة عن رسم (بورتريه) شخصي لكل فائز من صنع يديّ وعليه توقيعي، وتقدم الرسوم للفائزين محاطة ببرواز أنيق، لتبقى تذكارًا مبهجًا كلما رأوه تذكروني وتذكروا كتابي.

كانت فكرة لم يسبقني لها أحد من المؤلفين – بفضل الله – ولاقت إقبالًا طيبًا من عشرات المشتركين، وتم تنظيمها لمرتين وتسليم جوائزها في حفلتي التوقيع اللتين أقيمتا للكتاب.

وأثناء إعدادي لإطلاق هذا الكتاب الجديد «حكاياتنا»، استطلعت رأي القراء والمتابعين من خلال صفحتي الرسمية على موقع «فيس بوك»، وكان قرارهم باستمرار المسابقة، مع إضافة جوائز ثقافية إلى جانب الجوائز الفنية، وهو ما سأعمل على تنفيذه بإذن الله.

المؤلفة

كوبون مسابقة كتاب «حكاياتنا»

عزيزي القاريء

للاشتراك في مسابقة كتاب «حكاياتنا»، عليك بعد شراء الكتاب، ملء البيانات الموجودة بأسفل، والتقاط صورة فوتوغرافية لنفسك مع الكتاب (أو صورة جميلة تلتقطها للكتاب في مكان مميز)، ثم عمل لايك للصفحة الرسمية للكاتبة علا سمير الشربيني على فيس بوك، وعنوانها:

https://www.facebook.com/Olasamirelsherbeny

بعد ذلك أرسل الصورة وهذا الكوبون - بعد عمل مسح له بالسكانر أو تصويره بكاميرا الموبايل- لرسائل الصفحة، وسيتم نشر الصور المرسلة والتصويت عليها من جانب أعضاء الصفحة، وسيعتبر فائزًا من تحصل صورته على أعلى عدد من الإعجاب والمشاركة (لايك وشير).

سيكون هناك ٥ فائزين، بالنسبة للثلاثة الأوائل ستكون الجائزة عبارة عن رسم بورتريه شخصي موقع من الكاتبة والفنانة علا سمير الشربيني، والتي ستقوم شخصيا بتسليم الجوائز للفائزين في أول حفل توقيع يقام للكتاب. بالنسبة للفائزين الرابع والخامس، ستكون الجائزة لكل منهما مجموعة كتب من المقتنيات الخاصة بالمؤلفة.

لمعرفة آخر موعد للاشتراك في المسابقة، وموعد تسليم الجوائز، أو توجيه أي أسئلة خاصة بالكتاب أو المسابقة، برجاء متابعة صفحة الفيسبوك المشار إليها.

الاسم:

السن:

البريدالإلكتروني:

رقم الموبايل:

أكثر قصة أعجبتك في الكتاب:

ملحوظة: لن يتم الالتفات لأي صور مرسلة دون أن يرافقها كوبون المسابقة.

مع خالص التمنيات بالتوفيق

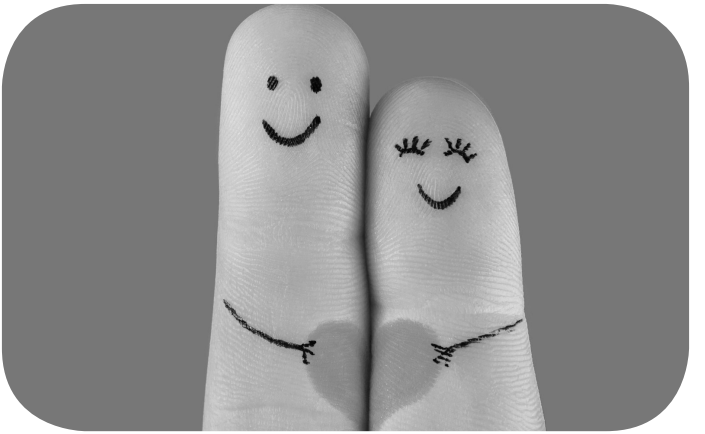

رفيقـــة العمـــــر

كثر الكلام في الفترة الأخيرة، وأصبح كل من يراني تقريبًا يحدثني في نفس الموضوع!

فكلما ظهرتِ برفقتي في أي مكان، يقولون لي: «كفاك تمسكًا بها... يجب أن تفارقها، لم تعد تليق بك، ولا تناسب روح العصر، إنها عبء ثقيل عليك، ولن تتطور أبدًا، ووجودها معك يجعل الكثيرون ينفرون منك، لأنهم يرفضون صحبتك الدائمة لها، ويرون أنك ستكون أسعد كثيرًا مع سواها، ووجهك سيضيء بدونها».

ويكون ردي عليهم دائمًا: «إنها رفيقة عمري منذ الطفولة... مَن أصبحت رؤيتي للحياة أفضل وأوضح بفضلها، أنارت طريقي ومنحتني وقارًا وإجلالًا، ومع الوقت شعرتُ كأنما أصبحت جزءًا مني، ومن يمكنه أن يبتر جزءًا منه بإرادته؟!».

لا أنكر يا عزيزتي أنني في بعض الأحيان كنت أفكر في كلامهم هذا، وأتذكر بعض اللحظات الصعبة التي قضيتها معك، لكن دائمًا ما أعود لأنفض تلك الأفكار عن ذهني، لأن اللحظات الأجمل معك، ستظل دومًا أكثر وأكثر.

لذلك لا تقلقي يا حبيبتي، لقد كنت متخبطًا في طرقات الحياة، لا أكاد أميز سبيلي، إلى أن التقيتك، لطالما ساعدتيني وتحملتيني لسنوات وسنوات، دون كلل أو فتور. لستِ عبئًا عليّ، ولن تكوني، فعلي العكس أنت دومًا لي خير معين، وأنا بالتأكيد لم أكن لأحقق أي نجاح في الحياة لولا وجودك معي.

أنهيتُ حديثي إليها، ومسحت عدستيها الزجاجيتين بكل اهتمام بقطعة ناعمة من القماش، ثم ارتديتها، وعدت لأكمل عملي على الكمبيوتر، وأنا مقتنع تمامًا بمواصلة ارتداء نظارتي الحبيبة، وعدم إجراء جراحة الليزك مهما حدث.

مستقبـــل العـــالـــم

خيّم الصمت إلي حد ما على المكان الذي بدا كأرض خربة مهجورة تشرق عليها شمس عليلة تحيط بها سحب كثيفة رمادية اللون وسط سماء يكاد لونها يقارب الأسود، أما الجو فكان خانقًا، مليئًا بالدخان الأسود الكثيف ... وقد تناثر الحطام في كل مكان، ولا أثر لأي لون أخضر على امتداد البصر، وإن تناثرت جثث عديدة متنوعة ما بين الإنسان، ومختلف أنواع الحيوانات.

وفجأة... تحرك أحد الأجساد الممددة علي الأرض، ونهض واقفًا بصعوبة مرتديًا أثمالًا بالية ممزقة، ومغطاة بالدماء والقاذورات، وتبعته أربعة أجساد أخرى... تحركت، ثم نهضت مصدرة أصواتًا متألمة ... كانوا ثلاثة رجال، وامرأة، وقد ارتدوا جميعا ثيابًا مشابهة لثياب زميلهم الأول، وملأت أجسادهم إصابات مختلفة.

بدأوا في السير متفرقين، وأخذوا ينقبون في أكوام الرماد، والحطام بحثًا عن بعض بقايا طعام ليسدوا بها رمقهم.وبعد أكثر من نصف ساعة من البحث المضني، بدأ التعب يظهر عليهم وبدا اليأس في عيونهم ...

وفجأة صرخ أحدهم، وقفز مهللًا، وفي يده قطعة من الخبز الجاف، فأجابته صرخات رفاقه الذين انقضوا عليه بمنتهى الشراسة، وقد أصر كل منهم على الحصول على الطعام لنفسه.

وهكذا نشبت معركة جديدة بين من تبقى من بني البشر، معلنة استمرارهم في التمسك بطبيعتهم الهمجية المتخلفة المائلة دائمًا للعنف، وأنانيتهم المقززة.

وعلى الأرض ... على بعد أمتار من هذه المعركة الضارية تناثرت أوراق ما بدا كجريدة مهترئة ممزقة، وإن بقت بعض الكلمات واضحة في صفحتها الأولى تقول:

«الأربعاء ٢٨ فبراير عام ٢٠٨٠

قيام الحرب العالمية الثالثة ...

الإنفجارات الذرية والدمار في كل مكان

بداية النهاية لكوكب الأرض ... ومخلوقاته!».

قطعة الشطرنج

طرق على باب مكتبها المفتوح باستحياء، فصاحت ''عزيزة'' تدعوه للدخول:

- «تفضل يا أستاذ أشرف»

ابتسم ''أشرف'' أحد مسئولي المبيعات بالشركة، وقال لها وهو يدخل ويتلفت حوله في خوف، ثم يجلس بتردد على المقعد المقابل لها:

- «زاد فضلك يا بنيتي ثم نظر مجددًا يمينًا ويسارًا ليتأكد من خلو المكان، فقالت له مطمئنة: «لا تقلق... لم يحضر بعد».

تنهد في ارتياح، قائلًا:

- «لقد مررت فقط لتحيتك والاطمئنان عليكِ، فأنا أعلم مدى الإرهاق العصبي الذي تعانينه هنا باستمرار، والذي لم تتحمله كل من سبقنك لهذا المكان».

ظهر الامتنان في عينيها، وهي ترد عليه: «أشكرك على اهتمامك الدائم يا سيدي. في الواقع لقد توفي والدي وأنا في سن صغيرة، لذا أعتبر السيد رئيس مجلس الإدارة كوالدي، ومن هذا المنطلق أتحمل عصبيته الزائدة وأسلوبه الصارم، وأقدر الكم الرهيب من المسئوليات الملقى على عاتقه، والذي يدفعه للتصرف بهذا الشكل، بالإضافة إلى تقدمه في السن». ثم رسمت ابتسامة شاحبة صغيرة على شفتيها، وهي تستطرد: «لقد مر ما يقرب من أربع سنوات منذ أصبحت مديرة مكتبه، ولقد اعتدت الأمر الآن».

ظهر التعاطف على وجه "أشرف"، وهو يقول:

- «عندما كنتِ سكرتيرة قسم المبيعات قبل انتقالك إلى هنا، كانت ابتسامتك الجميلة وحماسك يهونان علينا كل ضغوط العمل، التي كنتِ أيضا تساعدينا فيها كلما سمح وقتك، ورغم أن انتقالك إلى هنا كمديرة مكتب رئيس مجلس الإدارة يعد ترقية كبيرة لك، وهي ترقية مستحقة بالطبع، لكني منذ ذلك الحين أشفق عليك بسبب تأخرك الدائم بعد ساعات العمل، وذبولك المتزايد مع مرور الوقت، ووزنك الذي فقدت منه الكثير، و...»

وقبل أن يستكمل عبارته سمع صوت الخطوات المميزة للرجل الكبير تقترب من المكتب، فصمت تمامًا، داعيًا الله في سره ألا يكون قد سمع ما قاله، وانتفض واقفًا في ارتباك، وهو يشير لها بالوداع ويستدير مسرعًا ليخرج، لكنه التقى بالرجل عند باب المكتب، والذي بادره:

- «صباح الخير يا «أشرف»... كيف حالك؟»

أجاب مسرعًا:

- «في خير حال يا سيدي... شكرا على سؤالك»

عاد يسأله:

- «تُرى أحضرت إلى هنا في عمل، أم لتعطيل تلك الفتاة عن عملها وإضاعة الوقت في تبادل الحديث؟»

تغير لون وجه «أشرف»، وهو يعاود التحرك باتجاه الباب، مجيبًا:

- «أعتذر يا سيدي... لقد مررت لألقي التحية فقط، وسأعود لعملي الآن... أستأذنك في الانصراف».

تجاهله «ماهر» بك وواصل طريقه نحو مكتبه، دون أن يلقي التحية على «عزيزة»، التي أسرعت نحو الهاتف لتطلب له قهوته الصباحية، وأخذت تلقي نظرة سريعة أخيرة على دفتر مواعيد اليوم وملف المراسلات والوثائق الضرورية التي يجب عليه مطالعتها أو توقيعها بنفسه، ثم جلست تنتظر استدعاءه لها في توتر اعتادت عليه.

وسرعان ما دق الهاتف الداخلي، فردت لتسمعه يقول:

- «أيجب أن أستدعيكِ في كل مرة؟ هيا ... هاتي ما عندك»

أجابت على الفور:

- «حالًا يا سيدي».

ودلفت إلى مكتبه وهي تحمل كل الملفات والوثائق المطلوبة، وأخذت تعرضها عليه الواحدة تلو الأخرى، وتجيب على أي نقطة يتوقف عندها:

- «هذا ليس الفندق الذي طلبت منك الحجز فيه، لماذا تتصرفين دون الرجوع إليّ؟».

- «حضرتك قررت السفر إلى ألمانيا فجأة دون أن يكون ذلك

مخططًا له، ونحن الآن في فترة الذروة بسبب إجازات عيد الميلاد هناك، وبالتالي لم أجد أي غرفة متاحة بالفندق الذي حددته سيادتك، وبعد البحث والاستعلام في أكثر من فندق بنفس المنطقة المطلوبة، استطعت حجز غرفة مناسبة في نفس الموعد بفندق آخر لا يبعد كثيرًا عن الأول، وفي نفس المستوى»....وصمتت للحظة لتلتقط أنفاسها، ثم أكملت: «لو أضعت الوقت في العودة لسؤال حضرتك، قد تضيع هذه الغرفة أيضًا، لذا فقد حجزتها، والآن القرار يرجع لسيادتك، إما أن نؤكد الحجز، أو نقوم بإلغائه، دون أي خسائر».

- «حسنًا أكدي الحجز، وأمري إلى الله... لكن ماذا عن هذا الاتصال الذي وردني بالأمس ولم تبلغيني به؟ ألن تكفي عن إهمالك هذا؟»

حاولت الحفاظ على هدوئها، وهي تجيبه:

- «هذا الاتصال ورد بعد انصراف حضرتك من المكتب أمس، وقد حاولت بالفعل الاتصال على هاتفك المحمول لمرة واحدة وفقًا لتعليمات سيادتك حتى أبلغك بأمره وكذلك لأستشيرك في أمر حجز الفندق، لكنك لم ترد، فتركت رسالة على «الواتس آب»، ولم تقرأها أيضا!».

- «أنت تعرفين جيدًا كراهيتي لبرامج التواصل الاجتماعي الحديثة هذه. على كل حال، اتصلي الآن بهذا الرجل، وقومي بتحويل المكالمة لي. هيا احملي كل هذه الأوراق وانصرفي».

- «تحت أمر حضرتك».

وعادت إلى مكتبها الذي لا يفصله عن مكتبه سوى باب، وألقت ما بيدها، لتتصل بالرجل المطلوب، وتقوم بتحويل المكالمة لـ «ماهر» بك. بعدها أخذت تراجع المستندات والوثائق التي خرجت من عنده، لتطالع التأشيرات المختلفة على كل ورقة، وتتصرف تبعًا لأوامره بشأنها، ثم استدعت الساعي، وطلبت منه توصيل الأوراق للإدارات المعنية لتنفيذ المطلوب.

وعاد يطلبها على الهاتف الداخلي:

- «أريد فنجانًا ثانيًا من القهوة، واطلبي حضور مدير المبيعات للقائي».

استجمعت شجاعتها، لتقول:

- «منذ الأمس حضرتك تشكو من ارتفاع ضغط الدم، اقترح الاكتفاء بفنجان القهوة الأول، واستبدال الثاني بكوب من الكركديه».

رد عليها صارخًا:

- «نفذي ما طلبته، ولا تتدخلي فيما لا يعنيكِ» ثم أنهى الاتصال.

ولم تمض ساعة، إلا وعاد يتصل بها ليشكو من تزايد الصداع، ويطلب منها سرعة موافاته بمشروب الكركديه، ليتناوله قبل موعد الاجتماع مع الوفد الأجنبي.

في الاجتماعات كان حضورها أساسيًا، حيث تقوم بإعداد وتوزيع ملخصات على الحضور بشأن موضوع الاجتماع، وأهم التفاصيل

والأرقام المتعلقة به، ثم تقوم بتدوين أهم النقاط التي يتم مناقشتها أو الاتفاق عليها، وتذكير «ماهر» بك بأي تفصيلة قد يفوته الحديث عنها، وفي حالة الوفود الأجنبية، كانت تقوم أيضًا بالترجمة بين الطرفين، نظرًا لأن مديرها كان يجيد الإنجليزية فقط، بينما تجيد هي ٣ لغات أخرى معها.

كان «ماهر» حامل الأسهم الأكبر في الشركة ورئيس مجلس إدارتها، لكنه كان مؤمنًا بمركزية الإدارة، وبضرورة متابعة كل تفاصيل العمل بنفسه داخل وخارج مصر، فلا يكتفي بعمله المكتبي أو اجتماعات مجلس الإدارة لاتخاذ القرارات المصيرية فقط، بل يذهب بنفسه لمتابعة العمل في المصانع، ويحضر المعارض التي تشارك بها الشركة داخل وخارج مصر، ويتدخل في كل كبيرة وصغيرة، وكانت هي دائمًا تبذل قصارى جهدها لمعاونته، واحتمال حدته وثورته الدائمة طوال الوقت.

وفي أحد الأيام، لم يكن جدول أعماله ممتلئًا كالمعتاد، فاستدعاها، وطلب منها الجلوس، فجلست وهي تشعر بالدهشة لهذا الهدوء والود المفاجيء.

وبادرها قائلًا:

- «أخبريني بصراحة، ألا تشعرين بالإنهاك من العمل مع رجل عجوز عصبي كثير الأعباء وصعب الإرضاء مثلي؟».

فاجأها السؤال، فابتسمت ابتسامة خفيفة، وقالت:

- «بصراحة لن أنكر ذلك، لكني أقدر المسئوليات الملقاة على عاتق سيادك، وأتفهم أسبابك، كما إنني تعلمت الكثير من عملي تحت إمرتك طوال السنوات الماضية».

عاد يلح:

- «لكن ألا تشعرين بالحنين لعملك في قسم المبيعات، حيث الرسميات أقل، والجميع يعاملك بود وتقدير؟».

بدأ القلق يظهر على ملامحها، وهي تجيبه:

- «أعتز للغاية بالفترة التي عملت خلالها بقسم المبيعات، وبكل الزملاء هناك، لكن عملي الآن أصبح إدارة مكتب سيادتك، ورغم أن المسئوليات هنا أكبر والأعباء أكثر، لكني سعيدة بكل ما أكتسبه من خبرات جديدة ومهمة أثناء العمل تحت إمرة حضرتك، وحتى عندما تقسو عليّ، أحتمل لأني أعتبرك كوالدي رحمه الله، وأسعى للتحسين من أدائي لأنال رضاك عن عملي».

صمت قليلًا، ثم قال:

- «لقد كنت أفكر بصراحة في نقلك مجددًا إلى قسم المبيعات، لفترة مؤقتة حتى يتجدد حماسك للعمل، وتتخلصي قليلًا من التوتر الشديد الذي أسببه لك. وبالطبع ستكون السكرتيرة الحالية الموجودة هناك مساعِدة لك».

فاجأها حديثه، وشعرت بالصدمة، فقالت:

- «لا أعتقد أنني قد قصرت يومًا في خدمة سيادتك أو في أداء عملي على أكمل وجه، ولا أعلم سبب هذا التفكير من جانبك، خاصة أنني الوحيدة التي استمرت بنجاح لأربع سنوات في هذا المكان، الذي كان يخلو باستمرار بعد أشهر قليلة، لكن ما أعرفه جيدًا هو أن انتقالي إلى هنا كان بمثابة تحدٍ كبير بالنسبة لي وترقية مستحقة، ورغم أن مرتبي ظل كما هو دون أي زيادة، ورغم تحذيرات الجميع لي بأن من تشغل منصب مديرة مكتب حضرتك، لا يكون أمامها بعد ذلك إلا مغادرة الشركة، إلا أنني قبلت وانتقلت إلى هنا، إنقاذًا للموقف وقتها نظرًا لصعوبة بقاء هذا المكان شاغرًا، ولإيماني بامتلاكي ما يكفي من المهارات والقدرة على التحمل لأليق بمكاني هذا".

حاول التلطف معها، قائلا:

- «أنت عنيدة، وكثيرًا ما تجادليني في قراراتي، وتثيرين أعصابي، لكنك بالفعل من أفضل من قمن بالعمل في مكتبي، وأنا لا أريد منك أن ترحلي، بل سأنقلك لفترة إلى قسم المبيعات، وربما أعيدك مجددًا إلى هنا بعدها».

أجابته بحزم، وهي تشعر بالإهانة وعدم التقدير:

- «مع كامل احترامي لسيادتك، عودتي لقسم المبيعات أو انتقالي لأي مكان آخر بالشركة أمر مرفوض تماما من جانبي، هنا مكتبي وعملي، وإذا لم ترد بقائي هنا، سأقدم استقالتي وأرحل».

أشاح بيديه رافضًا، وقال لها:

- «الأمر هنا لي، ورحيلك عن الشركة من عدمه أنا فقط من يقرره»... ثم حاول التحكم في أعصابه، فلانت لهجته لإقناعها:

- «سأشرح لك الأمر وحاولي أن تتفهمي الموقف وتتعاملي معه بمرونة. أنت تعلمين أن ابنتي الكبرى "رضوى" قد انفصلت مؤخرًا عن زوجها، وهي تشعر بالوحدة والملل في الفترة الأخيرة، وساءت حالتها النفسية كثيرًا، ومنذ بضعة أيام جاءت لزيارتي هنا لأنني ووالدتها مطلقان منذ سنوات كما تعلمين، ويومها طلبت مني العمل بدلًا منك، حتى تكون قريبة مني لأطول وقت ممكن، وتشغل وقتها بما يفيد بعد طلاقها. حاولت بالطبع إثناءها عن تلك الفكرة بكل الطرق، لكنها تمسكت برغبتها، ولم أستطع الضغط عليها لعلمي بظروفها النفسية، فقلت لنفسي لم لا؟ ستدربها «عزيزة» ونرى ما يمكنها تقديمه، ولو فشلت في تولي المسئولية، ستكون «عزيزة» موجودة في قسم المبيعات لإنقاذ الموقف والعودة لمكانها الأصلي لو تطلب الأمر».

ازداد غضبها، وهي تقول:

- «حضرتك تعلم جيدا مدى حساسية وصعوبة عمل مديرة مكتبك، والتي تضطر أحيانًا لاتخاذ بعض القرارات بدلًا منك في حالة صعوبة التواصل مع سيادتك، وأن هذا المكان لا يحتمل تجربة شخص لا يمتلك أي خبرة مسبقة، وهذا أمر لا يخضع للمجاملة وجبر الخواطر. وإذا كنت تعتمد على وجودي بجوارها، فلا بأس،

سأقوم بالفعل باستقبال ابنة سيادتك وتدريبها لمدة شهر كامل، قبل رحيلي عن الشركة، وهذا قراري النهائي».

لم يتراجع عن مواصلة إقناعها، وابتسم وهو يحاول أن يمزح:

- «لا تأخذي الأمور بحساسية بالغة... افترضي أنك قد تزوجتِ، وقرر زوجك في يوم من الأيام أن يتزوج من امرأة أخرى، هل ستتنازلين عن حياتك وبيتك وتهدمين كل شيء في لحظة غضب، أم تتحملين وجود الزوجة الثانية على أمل أن يعود لك زوجك يومًا ما ويتركها؟».

ازدادت ثورتها، وهي تغادر مقعدها قائلة:

- «الحالتان مختلفتان، فحضرتك لست بزوجي، ولا تعتبرني حتى كابنة لك كما كنت أظن، فوقت الاختيار، فضلت ابنتك الحقيقية، ولم تستطع أن ترفض لها طلبًا رغم أن العمل يجب ألا يدار بهذا الشكل. ومع ذلك، لو حدث أن زوجي المستقبلي قرر الزواج مرة ثانية، سأحصل على الطلاق فورًا وبلا تردد».

واستدارت استعدادًا لمغادرة مكتبه، ثم عادت تلتفت إليه، وتؤكد:

- «أعتذر عن قبول قرار النقل الذي اتخذته سيادتك، لست بقطعة شطرنج تحركها على لوحة اللعب، وتنقلها أينما تشاء دون حولٍ لها ولا قوة. أشكر سيادتك على كل ما تعلمته خلال عملنا معًا، واعتبرني مستقيلة بعد شهر من الآن».

خرجت «عزيزة» من مكتبه منهارة، لكنها أكملت عملها المعتاد

باحترافية، وفي اليوم التالي استقبلت «رضوى» ابنة «ماهر» بك بحفاوة، وأجلستها معها في مكتبها، وأخذت على مدار أسبوعين تعلمها بمنتهى الأمانة كل ما عليها أن تعرفه، وتصطحبها معها في كل مكان تذهب إليه لأداء عمل ما، وخلال الأسبوعين التاليين، بدأت تترك لها المجال لتتعامل بنفسها، ثم تصلح لها ما تقع فيه من أخطاء، أو تمنحها ما تحتاج إليه من ملاحظات لتحسين أدائها، ولاحظت أنها خرجت من مكتب والدها أكثر من مرة بوجه أحمر، وعينين باكيتين، لكنها لم تهتم، فعلى «رضوى» أن تتعلم من الآن فصاعدًا كيفية التعامل مع «ماهر» بك كرئيس في العمل، وليس كوالدها الذي يدللها ولا يرفض لها طلبًا.

وقبل انتهاء الشهر بأربعة أيام، كتبت «عزيزة» استقالتها ونموذج شهادة الخبرة، وأرفقتها مع المستندات الصباجية التي تقدمها لرئيسها، الذي فوجيء بوجود هذه الأوراق في الملف، ونظر إليها بدهشة، قائلا:

- «أمازلتِ تصرين على هذا التخريف؟ لقد ظننت أنك قد هدأت وتقبلت الأمر».

أجابته بحزم:

- «لقد أبلغت حضرتك برفضي قرار النقل وإصراري على الاستقالة منذ البداية، ولم أقل يومًا أني قد تقبلت أي شيء. من حقك اختيار من يعملون معك، ومن حقي أيضا الاستقالة من المكان الذي لا يقدرني».

ألقى الملف في وجهها بعصبية، وهو يقول:

- «أخبرتك من قبل أنك لن ترحلي إلا بإذني، وعندما أقرر أنا ذلك. لن أوقع على الاستقالة أو أية أوراق تتعلق بها».

جمعت الأوراق داخل الملف، وهي تستدير مغادرة، وقالت:

- «إذن سأعرض هذه الأوراق على حضرتك مرة أخرى عندما تهدأ أعصابك».

وعلى مدار الأيام الباقية، عرضت عليه أوراق رحيلها مرات متكررة، لكنه أصر على عدم التوقيع، بل ورفض تمامًا مناقشة الأمر.

لكن هذا لم يوقفها، ولا حتى محاولات زملائها بالشركة لإثنائها عن الرحيل نجحت في تغيير رأيها، فقد كان شعورها بالإهانة وإحساسها بتخليه عنها كوالد - قبل أن يكون رئيسًا بالعمل- أكبر حتى من حاجتها للوظيفة والراتب الشهري.

وفي اليوم المحدد، أنهت عملها ودخلت إلى مكتبه لتحيته للمرة الأخيرة، لكنه لم يرد التحية، وأظهر لها غضبه الشديد من موقفها.

وعلى مدار شهر كامل بعدها، ظلت تتواصل مع الشركة وتطلب الحصول على استقالتها الموقعة وإخلاء الطرف وشهادة الخبرة، لكن الزملاء في شئون العاملين أبلغوها أن رئيس الشركة يرفض التوقيع على أوراقها، في محاولة واضحة للي ذراعها وعدم تمكينها من العثور على عمل جديد، وهو ما قد يضطرها في النهاية للعودة

والرضوخ لأوامره.

وإزاء عناده وتسلطه وتعامله معها كما لو كانت شيئًا يملكه، ولا تملك الحرية في اتخاذ قرار يمسها دون إذنه، ازدادت «عزيزة» إصرارًا على المضي قدما في حياتها، ولم ترضخ لرغبة رئيسها القديم، بل بذلت الكثير من الوقت والجهد، واستخدمت مدخراتها كلها في تعلم شيء جديد، وبعدها ببضعة أشهر بدأت العمل في مجال مختلف تمامًا عن مجال عملها السابق، ألا وهو مجال الموارد البشرية، وبالتالي لم تكن بحاجة لشهادة الخبرة عن فترة عملها السابقة، ولم تهتم كثيرًا عندما بلغها نبأ استقالة «رضوى» من العمل مع والدها لأنها لم تحتمل أسلوبه في التعامل كمدير، ولا شعرت بأدنى قدر من التعاطف عندما علمت أن كل من تأتي لتعمل في هذا المنصب، ترحل أو يقيلها «ماهر» بك بعد أشهر قليلة، فبالنسبة لها هذه الصفحة من حياتها طُويَت للأبد، بعد أن تعلمت منها ألا تقبل أبدًا بأقل مما تستحق، وألا تنظر أبدًا لرئيسها في العمل كوالد عليها احتماله مهما فعل، بينما هو في الواقع يستغل عواطفها الساذجة لتحقيق أقصى استفادة منها.

حســـابـــات الحـــــب

فتحت «رشيدة» بريدها الإليكتروني في لهفة باحثة عن الرسالة التي ترجو وصولها منذ أيام، وبمجرد أن رأتها في صندوق الوارد تضاربت مشاعرها بين الرغبة في قرائتها فورًا، وبين الخوف مما قد تحتويه، ولم تلبث أن نقرت عليها في تردد، لتنفتح:

عزيزتي «رشيدة»

نزولا على رغبتك الملحة في الحصول على رد على كل الرسائل التي كتبتها لي بعد لقائنا الأخير لإقناعي باستمرار صداقتنا، ها أنا ذا أكتب إليك رغم أن الصمت يكون أبلغ كثيرًا من الكلام في مثل هذه الظروف لأن رد المجروح يكون في أغلب الأحيان قاسيًا قدر جرحه.

دعيني أقول إن رد فعلك لم يفاجئني مطلقًا بل كنت أتوقعه ومنذ زمن. يمكنك القول أن أسلوبك المنظم لدرجة مرعبة في تحليل كل شيء، ووضع نسب محددة للمكسب والخسارة، والجدوى وعدم الجدوى والالتزام بخطوات مدروسة في كل أمور حياتك، حتى إنك تريدين اختيار الوقت المناسب للإحساس بالحب بعد أن تحققي قدرًا كبيرًا من طموحاتك العملية، كل ذلك جعلني أعرف الإجابة مسبقًا، وإن احتجت أيضا لسماعها منك!

للأسف نسيتِ أن هناك أشياء في الحياة لا يمكن تحت أي ظرف من الظروف أن تخضع للحسابات أو نحددها بمواعيد، ولا تظني أنه إذا جاءك الحب اليوم وركلته بقدميك أنك ستجدينه يوم أن تكوني في أمس الحاجة اليه، وعندما تكونين قد حققت كل طموحاتك التي

تسعين خلفها أولاً.

قد تتساءلين: ما الذي جعلني أواجهك وأطالبك بإجابة مباشرة رغم علمي المسبق بها؟

يمكنك القول أن مشاعري نحوك ونسبة ضئيلة من الأمل بداخلي دفعتني للتعلق بالوهم والسعي وراء الحصول على إجابة صريحة تنهي حالة الشك الموجودة بداخلي: أتشعر بي أم لا؟ ماذا أكون بالنسبة لها؟... وغيرها من الأسئلة التي ظلت ترتع بداخلي طوال مدة صداقتنا، وكان لابد أن أحسم أمري وأواجهك بتساؤلاتي...

و كعادتك حللت الأمر بشكل غاية في النظام والتنسيق وكان ردك عبارة عن تقرير اتضح منه أنك لم تشعري بي قط إلا كصديق وأخ، وأن لقاءاتنا المباشرة لم تكن عديدة بالشكل الكافي لنقترب أكثر، نظرا لظروف عملي التي تتطلب مني السفر خارج البلاد لفترات طويلة، ولذا تقتصر وسيلة الاتصال بيننا لأشهر على مواقع التواصل الاجتماعي ورسائل البريد الإليكتروني. نفس منطق البعيد عن العين بعيد عن القلب الذي لم أبغض في حياتي شيئًا كما أبغضه.

عن نفسي أؤمن يا عزيزتي أن القلب لا يحتاج للرؤية أو السمع كي يحب، فقد تعاشرين إنسانًا طيلة عمرك ترينه وتسمعين صوته كل يوم دون أن تشعري به للحظة، في حين قد تستكين روحك لاخر وتعشقينه دون أن ترينه سوى مرات معدودة ، ودون أن يفرق معك ما شكله؟ ماذا يعمل وأين يعيش؟ فقد أصبح جزءًا منك

وتوحدت روحك بروحه.

دعينا من كل ذلك فكل الكلمات لن تغير من الواقع شيئًا الآن ... لقد انسقتُ خلف إحساسي رغم إدراكي عدم وجود مقابل له لديك، وكنت أخشى دائمًا أن أفصح لك عن مشاعري لعلمي أن ذلك سيجعلني أخسر كل شيء: الحب الذي طالما تمنيته، والصديقة الوحيدة لي، الإنسانة التي أطلعتها على كل خبايا نفسي بشكل لم أكن أبدًا لأفعله مع أي شخص أتعامل معه مباشرة في الحياة اليومية، الإنسانة التي ظننتها مختلفة، أو حبي صور لي ذلك، وجعلني أكذب عقلي!

والآن ... أتدرين لماذا لا يمكن لصداقتنا أن تستمر؟ لأن المشاعر الإنسانية يا عزيزتي لا يمكن فصلها، ولأن الصداقة بين الرجل والمرأة إذا وصلت لهذه الدرجة من الشفافية والقوة التي وصلنا إليها، فإنها ترتقي وتتطور لتصبح جزءًا من علاقة أكبر هي الضامن الوحيد لاستمرار هذه الصداقة.

أما إذا تجمدت من أحد الطرفين وظلت على وضعها فإن ذلك سيخلق عدم توازن فظيع كفيل بتدمير الأمر كله من أساسه، دعيني أسألك: الآن وقد علمتِ باهتمامي الخاص بك هل يمكنك أن تصارحيني كصديق إذا قابلت يومًا من ملك قلبك؟ بالطبع لا، لأن حساسية الموقف ستمنع ذلك، بل السؤال الأبسط من ذلك هل يمكن لصداقتنا أن تستمر إذا ارتبط كل منا بآخر؟ أعتقد أنه لم يخلق بعد الرجل أو المرأة اللذان يقبلان أن يشاركهما أحد في اهتمام

ومشاعر رفيق حياتهما.

والأهم من كل ذلك هو أنني لست علي استعداد لإضاعة أعوام أخرى من عمري على أمل أن يشعر بي قلب لا يملك البصيرة الكافية ليرى ويشعر ويفهم، وإلا لكان قد فعل منذ البداية. يجب عليّ أن أتعلم النسيان وأن أنظر حولي ربما كانت هناك من تستحق حبي الذي لم يجد تقديرًا لديك.

أتركك الآن في رعاية الله، و صدقيني لا يوجد بداخلي أي ضغينة نحوك، كل ما أرجوه هو أن تتفهمي الموقف الذي يحتم عليّ الابتعاد.

الوداع

عصام

تجمدت «رشيدة» في مكانها بعد أن انتهت من قراءة الرسالة وأخذت تفكر قليلًا، وهي تشعر أنها قد خسرت صديقها الوحيد المخلص، والإنسان الذي أحبها حبًا كبيرًا كما علمت، واعترفت لنفسها أنها تحمل له أيضًا بعض المشاعر الجميلة، ثم لم يلبث طموحها أن تغلب على ضعفها، وعلا صوته ليؤكد لها أن مستقبلها العملي وأحلامها بأن تصبح أصغر مديرة في محل عملها، أهم كثيرًا في هذه المرحلة من الحب والزواج اللذين سيعطلانها ولا شك عن تحقيق أهدافها.

وأغلقت بريدها الإليكتروني ونهضت في حسم، لتعلن انتصار الحسابات... على الحب.

ميكـــروباصيـــات

-١-

في يوم شتوي بارد بالقاهرة بعد العاشرة مساءً، امتلأ الميكروباص بالركاب، فأخذوا يتصايحون من النوافذ المكسورة لعلبة الصفيح المتهالكة، ويسألون المتواجدين بالموقف: «فين سواق العربية دي؟ اتملت خلاص».

كان السائقون يجلسون على مقربة من السيارة، فيما يشبه نصف دائرة ويتناولون الشاي أثناء تبادل المزاح البذيء الممتليء بالسباب لأب كل منهم أوأمه، تتبعه ضحكات مرحة، وسط تجاهل تام لصياح الركاب، ثم لم يلبث أحدهم أن نظر بطرف عينه إلى السيارة، وقال بهدوء: «فاضل رابع ورا»، فكان الرد من أحد ركاب الأريكة الخلفية: «خده من على الطريق يا اسطى... الوقت متأخر والدنيا برد الله يكرمك، وبعدين الكنبة اللي ورا مكسورة وتحتها عجلة استبن، وواخدة تلاتة بالعافية، مفيش أصلًا مكان لرابع».

وبالطبع لم يتلق الراكب أي رد، وسط تجاهل السائقين، وعودتهم للمزاح والاستمتاع بالشاي. واستمر اعتراض الركاب إلى أن جاء الراكب الرابع وانحشر حرفيًا وسط الأجساد، وهنا تحرك شخص من الجانب الآخر للسيارة، وقفز متخذًا مكان السائق، وأدار المحرك برعونة، فقفزت السيارة فجأة، واصطدمت رؤوس ركاب الأريكة الخلفية بسقف السيارة الصدئ المليء بالنتوءات المعدنية، فصاح الركاب اعتراضًا: - «على مهلك يا اسطى هو انت محمل

خشب، ده احنا بني آدمين يا جدع"!.

ولم يلاق اعتراضهم أي صدى لدى السائق الذي أشعل موسيقى المهرجانات بأعلى صوت وأخذ يغني معها في اندماج، وهو يسير بسرعة جنونية كما لو كان يقود سيارة «فيراري» على طريق حريري خالٍ من السيارات والمارة، دون أن يهتم أو يعي أن سيارته الخردة تتقافز بعنف على مطبات الطريق، ومع كل قفزة يتخبط الركاب بأركان السيارة وسقفها ويصابون بالهلع.

وبنظرة سريعة للكابينة الأمامية، يكتشف الركاب أن السائق لا يزيد عمره عن ١٢ عامًا، وهو عمليًا مختطفهم، فهو لا يستمع لما يقولونه، ولا يستجيب لشكواهم، ولو استمر اعتراضهم قد يزعجه ذلك فيدخل في أول سيارة تقابله على الطريق، أو يقفز بالميكروباص من أعلى الكوبري، وفي أفضل الأحوال، سيتوقف فجأة طالبًا من المعترضين أن يغادروا السيارة وسط الطريق في ليل الشتاء بعد أن حصل هو على الأجرة، فلا يجدون في النهاية أمامهم سوى الصمت وقراءة ما يحفظون من القرآن بلا صوت، داعين الله أن يصلوا بسلام كل إلى وجهته.

وتستمر الرحلة من منطقة شعبية إلى أخرى دون أن يقابل السائق على الطريق من يوقفه أو يسأله عن رخصة قيادته، والهواء البارد مع القيادة السريعة يصفع الجميع بقسوة، ويكتمل المشهد الجنوني بصوت المهرجانات المزعج، المختلط ببكاء رضيعٍ مفزوع مما يحدث، تحاول أمه عبثا إسكاته.

وكلما أراد أحد الركاب مغادرة السيارة، يكون على الجميع أن يصرخوا لخمس دقائق على الأقل حتى ينتبه السائق الطفل إلى أن هناك من يريد النزول، فيتوقف لما لا يزيد على ٣ ثوان، وبمجرد أن يضع الراكب قدمًا واحدة على الطريق يطير الميكروباص مجددًا، فيأخذ الراكب في تلاوة الشهادتين غير مصدق أنه قد نجا، ويدعو للآخرين بمغادرة السيارة سالمين، وقبل الوصول لنهاية المسار بمسافة لا بأس بها، يتوقف السائق فجأة، فينكفيء المتبقي من الركاب على بعضهم البعض، ومنهم من يصطدم رأسه بالمقاعد الأمامية، ويسمعونه يقول: «حمد الله ع السلامة يا جماعة»، فيرد الراكب الوحيد الذي مازال محتفظا بتوازنه ووعيه: «يا اسطي لسه مسافة طويلة على الموقف»، فلا يتلقى ردًا، بعدما قفز السائق الصغير بالفعل خارج السيارة وتركها على جانب الطريق، فيهبط منها من تبقى من الركاب في استسلام، محاولين تمالك أنفسهم ليستكمل كل منهم طريقه لمنزله سيرًا على الأقدام، أملًا في الحصول على القليل من الراحة، استعدادًا ليوم جديد، يبدأ وينتهي برحلات مماثلة مليئة بالإثارة والمغامرة!

****

****

****

-٢-

انتهت ضحى من عملها بإحدى المصالح الحكومية، وانصرفت عدوًا حيث قفزت حرفيًا في أول ميكروباص قابلها، فقد تأخرت على موعد خروج مدرسة طفليها. لم تجد مكانًا في السيارة من الخلف، فاضطرت للركوب بالأمام بجوار السائق، وبجوارها امرأة أخرى أصرت على الجلوس بجوار الباب. وبالفعل حدث ما توقعته، وبدأ السائق يتحرش بها لامسًا ساقها من آن لآخر أثناء تحريك (الفتيس) متعللًا بضيق المكان، وأخذ يعتذر: «لا مؤاخذة يا أبلة». حاولت التراجع مبتعدة عنه قدر الإمكان، لكن ذلك لم يكن متاحًا، وحتى لا تثير مشكلة، وينتهي الأمر بالناس يأخذون جانب السائق لكي لا تتعطل رحلتهم، صاحت به عندما فاض بها الكيل: «اركن على جنب ونزلني. حسبي الله ونعم الوكيل». وبالفعل توقف السائق، وردد وهو يرسم على وجهه الدهشة: «هي مالها دي!».

وكما قفزت مسرعة لتركب السيارة، فعلت المثل لتغادرها كما لو كانت شياطين الجحيم تطاردها، وأكملت الطريق لمدرسة الأولاد عدوًا على قدميها، وبعد أن اصطحبتهما اتخذت طريقها سيرًا إلى منزل والدتها القريب من المدرسة، حيث تركت طفلها الثالث الرضيع هناك.

وفي طريق العودة لمنزل زوجها، اضطرت مجددًا لركوب الميكروباص، فهو أقل الحلول المتاحة ضررًا، بعيدا عن التكدس

الشديد في أتوبيسات النقل العام، فضلًا عن الاضطرار لانتظارها لفترات طويلة، وعن أجرة التاكسي التي لا يمكنها تحملها بشكل يومي.

في الميكروباص احتمت بأطفالها، وأخذت أريكة لأسرتها فقط، وعندما وصلت إلى وجهتها، اضطرت لضيق المكان أن تستجيب لطلب السيدة التي تجلس أمامها: «ناوليني الواد أشيلهولك لحد ما تنزلي، وحناولهولك من الشباك»، لكن بمحرد نزولها من السيارة مع الطفلين، انطلق السائق بالميكروباص مسرعًا، وسط صراخها، وهتافات الركاب، وأخذت تعدو خلف السيارة إلى أن تنبه السائق، وتوقف، وتمكنت من استعادة طفلها، وسط اعتذار السائق: «لا مؤاخذة يا أبلة!».

احتضنت طفلها الباكي بقوة، ونظرت خلفها لتجد طفليها الآخرين قادمان يهرولان، ودون أن تعي جلست في مكانها على الأرض، وضمت الجميع إليها، ودموعها تحرق وجنتيها، وتختلط بدموع أطفالها الذين يبكون لبكائها ولا يمكنهم فهم ما يحدث!

وبعد قليل هدأت نفسها قليلًا، فنهضت وحملت الصغير على كتفها، وأمسكت الطفلين الآخرين في يدها الأخرى، واتخذت طريقها للمنزل.

****

****

****

-٣-

ركب (مصطفى) الميكروباص مع خطيبته لإعادتها إلى منزلها بعد انتهاء نزهتهما. جلسا في الأريكة الأولى خلف السائق، وأجلسها من الداخل بجوار النافذة حتى لا يضايقها أحد. امتلأت السيارة، وبدأ السائق في التحرك، ونظر (مصطفى) إلى خطيبته، فوجدها تبتسم بسعادة وهي تتأمل باقة الزهور الصغيرة التي أحضرها هو لها، فمد يده في جيبه وأخرج الأجرة على عجل ومد يده بها للسائق، ممنيًا نفسه بالعودة سريعًا للحوار الرومانسي الهامس مع خطيبته: «الاتنين اللي وراك يا اسطى وهات الباقي»، فترك السائق يد (مصطفى) ممدودة كما هي، ورد عليه ببرود: «لموا الأجرة كلها مع بعض يا أستاذ».

أعاد (مصطفى) يده إلى جواره، وهو يبحث بعينيه سريعًا عن شخص يتولى مسئولية جمع الأجرة، حتى لا يضّيع اللحظات المتبقية له مع خطيبته قبل وصولها لمنزلها، فوجد الراكب بجواره من الجهة الأخرى يتناول النقود من يده، وهو يصيح في الجميع:
- «حد حيدفع وراه؟».

وبالطبع فشلت كل محاولات (مصطفى) في تبادل بعض عبارات الغزل مع خطيبته، وسط ارتفاع أصوات الركاب ونقاشهم حول الأجرة والفكة والباقي، حتى نسي هو نفسه أن يسأل الراكب المجاور عن باقي نقوده.

وفجأة ناول الراكب النقود للسائق بعد أن انتهى من جمعها، قائلا:

- «أجرتك كلها أهه يا اسطى، نزلني على جنب بقى الله يباركلك».

وبعد نزول الراكب، علا صوت السائق، وهو يقول: «مين لسه ما دفعش يا بهوات؟ اللي ما دفعش يبعت».... وساد صوت صرصور الحقل بين الركاب، دون أن ينطق أحدهم بكلمة، فكرر السائق كلامه، وهنا بدأت تصدر بعض الاستجابات في اتجاه مختلف: «ابعت الباقي يا اسطى»، فرد السائق: «الأجرة أصلًا ناقصة يا بيه، فيه حد ما دفعش»، وبسرعة أدار السائق عجلة القيادة، واتجه للتوقف إلى جانب الطريق، وسط صياح الركاب: «إيه يا اسطى وقفت ليه؟»، ودون أن يجيبهم السائق، التفت إلى (مصطفى)، وناوله شيئًا في يده: «دي الفلوس كلها اللي ادهالي الراجل قبل ما ينزل، لموا أجرتكم مع بعض وادوهالي كاملة عشان نتوكل على الله ونطلع».

وعاد (مصطفى) إلى نقطة الصفر، وفقد أي أمل في الاستمتاع بالوقت مع خطيبته، وبعد عد النقود، وتأكيد الجميع أنهم قد دفعوا للراكب الذي غادر، وأن لمعظمهم باق لم يحصل عليه، انحصر شكه في جاره الذي نزل من السيارة، فالأمر يبدو أنه لم يدفع أجرته، وحصل لنفسه على المبالغ المتبقية للركاب الآخرين، وسلم الباقي للسائق. وقطعت خطيبته أفكاره، وهي تقول: «يا (مصطفى) أنا اتأخرت جدا، لازم أروّح قبل ما بابا يرجع، انت عارف انه ما بيحبش مقابلاتنا بره البيت».

وهنا حسم (مصطفى) قراره، وأخرج الأجرة الناقصة من جيبه،

وأكمل المبلغ، ثم مد يده بسرعة للسائق قائلا: «أجرتك كاملة أهه يا اسطى، اطلع بقى الله يكرمك».

وأدار السائق السيارة ليستأنف طريقه، بينما نظرات الشك والريبة تتوالى على (مصطفى) من معظم الركاب، وهم يقولون له: «عايزين الباقي بتاعنا!».

****
****
****

قبـــل العاصفـــــــة

أخرجت «غالية» هاتفها المحمول بعد تردد كبير، واستخرجت اسمه من بين جهات الاتصال لديها، وبعد أن تأملته للحظات، ضغطت زر الاتصال لتنهي ترددها...

لحظات انتظار صعبة قضتها أثناء سماع رنين الهاتف الذي امتزج به صوت دقات قلبها المتسارعة، إلى أن أتاها صوته المرح الحنون من الطرف الآخر: «لابد أني محظوظ لأتلقى منك اتصالاً كهذا... كيف حالك يا أميرتي؟».

جاهدت «غالية» لتبتسم، قائلة: «كيف حالك أنت يا (غالي)؟».

وبمرحه المعهود أجابها: «في أحسن حال بالطبع طالما سمعت اسمي من بين شفتيكِ».

نهرته محاولة إخفاء سعادتها وخجلها: «كفاك عبثاً، لقد كنت على وشك اليأس من أن ترد على مكالمتي لأنك استغرقت وقتاً طويلاً إلى أن رددت».

أجابها: «في الواقع أنا الآن في عيادة الأسنان... لم أنم من الألم الليلة الماضية، فقررت الحضور اليوم لحشو الضرس الذي يكاد يُذهب عقلي وجعاً، وعند اتصالكِ كنت بغرفة الكشف بالداخل، ومن فرحتي لاتصالكِ بي، أصررت على الرد عليكِ الآن، لأني لو أجلت الأمر قد لا أستطيع الرد لاحقاً بعد جلسة العلاج والبنج وخلافه... ولذا استغرقت بعض الوقت حتى استأذن الطبيب في الخروج إلى صالة العيادة للرد على مكالمة مهمة جدًا».

ملأتها السعادة للهفته واهتمامه اللذين طالما تمنت الإحساس بهما،

وتلقائيته الجميلة في التعبير عن مشاعره نحوها بصدق، ودون حتى أن يستخدم عبارات عاطفية مباشرة... لكنها شعرت أن الوقت غير مناسب لما تريد قوله، فقالت بحرج: «لن أطيل عليك إذن، وأعتذر لمقاطعة جلسة علاجك، وأتمنى لك السلامة من كل ألم يا (غالي)... سأغلق الآن».

أجابها سريعاً: «لا لا تغلقي الخط... أي شيء ينتظر... سلمكِ الله من كل شر يا أميرة قلبي، لكني أشعر أنكِ تريدين أن تقولي شيئاً... تكلمي يا "غالية" أنا أسمعك».

قالت بتردد: «في الحقيقة... كنت سأسألك إن كان من الممكن أن تحضر إلى مدينتي في الغد، لكن لا أظن أنه سيكون بإمكانك فعل ذلك لأنه من الصعب عليك السفر وأنت بهذه الحا...»

قاطعها، قائلاً: «أنا بخير، لا عليكِ... ما دمتِ تريدين رؤيتي، سأحضر بالتأكيد، ولا تقلقي عليّ، فالمسافة بين مدينتينا ليست كبيرة على أية حال... لكن هل أنتِ بخير؟... هل اتخذتِ قراراً في موضوع زواجنا».

ابتسمت بحنان: «لا تقلق عليّ يا «غالي»... أنا بخير حال والحمد لله... ولم أتخذ أي قرارات بعد.. فقط اشتقت لرؤيتك، ولقضاء بعض الوقت معك في المكان الجميل الذي ذهبنا إليه سوياً من قبل، لكني أخشى أن أرهقك أو أن تكون لديك أي ارتباطات أخرى خاصة بالعمل».

خبط على رأسه متذكراً: "بلى ... في الواقع لديّ بالفعل ارتباط

عمل في الغد، لكن لا تقلقي سأعمل على إنهائه سريعاً قبل موعدنا، أو سألغيه تماماً إذا استدعى الأمر».

حاولت الاعتراض: "لا أريد أن أتسبب في أي ...»

قاطعها حاسماً: «لا تقلقي... لستِ سبباً إلا في كل ما هو جميل بالنسبة لي... سأكون موجوداً في الميعاد... أراكِ على خير».

أنهت المحادثة: «أراكَ غداً على خير بإذن الله».

أحياناً عندما ندرك جيداً أن قدرنا الأحزان، والفراق، والألم، يصبح أقصى أحلامنا أن نعيش ولو بعض لحظات السعادة القصيرة مع من نحب، وأن نجمح بخيالنا بعيداً لنرسم صورة جميلة لحياة تجمعنا معاً... وحتى لو كان الأمر مجرد وهم وحلم خيالي لن نلبث أن نستيقظ منه سريعاً على الواقع المر، فلا مفر من الرضا بهذا الحلم القصير، ومحاولة الاستمتاع به قدر الإمكان قبل أن يتبدد...

هكذا فكرت "غالية"، وهي تختار ملابسها بعناية للقاء حبيبها... لن تفكر في كل ما سيحدث بعد هذا اللقاء... ستستمتع فقط بكل لحظة ستقضيها معه في هذا اليوم، فقد تكون آخر مرة ستراه فيها.... ولتواجه قدرها بشجاعة بعد ذلك، وتستعد للانحناء أمام العاصفة.

وبالفعل قضت أجمل يوم في حياتها إلى جواره... فحتى لو كان زواجهما مستحيلاً عملياً لوجود عوائق لا يمكن تجاوزها، كان يكفيها أن تقابله بعد أن عرض عليها الزواج... أن تقضي معه يوماً واحداً وهما في حكم الخطيبين... سارا كثيراً، وتحدثا كثيراً في الشكل الذي يتخيلانه لحياتهما سوياً بعد الزواج، وتناولا

الطعام والمشروبات سوياً.. ودفعه إحساسه بحزنها إلى إضحاكها والتسرية عنها بكل الطرق، وهو الأمر الذي طالما كان سهلاً بالنسبة له لخفة ظله الفطرية وحديثه اللطيف... ذهبا إلى مكانهما المفضل وتمنت لو يتوقف بهما الزمن في نفس اللحظة والمكان حتى يظلا سعداء معاً للأبد، دون أن يعكر صفوهما شيء.

حتى بدأت تلك المكالمات الهاتفية في التوالي على محموله، وعلمت هي أن الغيوم قد بلغت أقصى تكاثفها في منزل أسرته، وأنهم قد اكتشفوا سفره، وعلموا بوجوده معها الآن، وبالتأكيد سيعدون العدة لاستقباله كما يجب، والضغط عليه بكل الطرق حتى يتخلى عن فكرة الارتباط بها.

ولهذا، كانت تعلم جيداً أنها في حقيقة الأمر لا تملك الموافقة أو الرفض فيما يخص زواجهما، لأن هناك ظروفاً أقوى منه ومنها هي التي ستحدد ذلك، وكانت تدرك تماماً أن إصراره على التمسك بها سيكون ثمنه خسائر لا يمكنه تحملها، ولا يمكنها هي أن تتسبب له فيها، وقد حاولت كثيراً الابتعاد عنه، لكن الأمر كان أقوى منها، لذا قررت انتظار العاصفة التي ستكون الشيء الوحيد القادر على التفريق بينهما الآن...

لكن أقوى العواصف لا يمكنها اقتلاع المشاعر عميقة الجذور.. مهما بعدت المسافات، ولا يمكنها محو أجمل الذكريات التي ستظل حاضرة بداخلهما طوال العمر رغم الفراق.

جحـــــــود

هبط رجل الأعمال الشاب (فايز) بك من سيارته أمام مقر الشركة الكبرى التي يتولى إدارتها، وأسرع موظف الأمن ليحمل عنه حقيبته ويوصله حتى مصعد الشركة، لكن قبل أن يدخل من بوابة المبنى، سمع من يكرر النداء باسمه، فتوقف، ونظر خلفه، ثم ارتبك فجأة وفقد مظهره الواثق.

فقد رأى عم (عبده) صاحب دكان الحلاقة الصغير الموجود في الحي الشعبي الذي كان يعيش به في الماضي، وخوفًا من أن يعرف العاملون بالشركة حقيقة نشأته - لو تجاهل الرجل، ودفعه لإثارة ضجة - توقف، وانتحى جانبا ليتحدث معه، وبادره الرجل وهو يفتح ذراعيه له:

- «كيف حالك يا (فايز) يا ولدي؟»

تجنب (فايز) ذراعي الرجل المفتوحة، وأشار إليه ليتوقف، وأجابه بصوت خفيض:

- «ماذا جاء بك إلى هنا يا عم (عبده)؟ ماذا تريد؟»

صدم أسلوبه الجاف الرجل العجوز، فأعاد ذراعيه إلى جواره محبطًا، وهو يجيبه:

«لا أريد منك شيئًا يا بك، لكنها والدتك، هل تذكرها؟»

سأله (فايز) في ضجر وعصبية:

- «ماذا بها؟ إنني أرسل لها مبلغًا من المال كل شهر، هل أرسلتك لأنها تريد المزيد؟»

أشاح عم (عبده) بذراعيه نافيًا، وقال:

- «لا أبدًا... لم آت إليك من أجل المال، وهي لا تعلم حتى بحضوري. والدتك مريضة وطريحة الفراش منذ أكثر من شهر، وأنت لم تحضر ولا مرة لزيارتها منذ أن تزوجت من ابنة صاحب الشركة، كما حذرتها بشدة من الحضور إلى منزلك الجديد أو محل عملك، حتى لا تشعر بالحرج أمام أهل زوجتك أو موظفي الشركة، وطوال عام كامل التزمت هي بما طلبته منها، لكنها مرضت من فرط شوقها إليك. لا تنس يا بك أن هذه السيدة هي التي أضاعت شبابها وصحتها بالعمل في البيوت حتى تتمكن من تربيتك وتعليمك بعد وفاة المرحوم والدك، وها أنت تتنكر لها الآن بعد أن ابتسمت لك الدنيا».

أشار له (فايز) بسرعة أن يصمت، قائلًا بصوته الخفيض:

- «اخفض صوتك، هل ترغب في إثارة فضيحة هنا. حسنًا حسنًا... انصرف أنت الآن، وسأحاول المرور لزيارتها، لكن لا تأتِ إلى هنا مرة أخرى، أرجوك».

ثم مد يده في جيبه، وأخرج بعض المال، وحاول منحه لعم (عبده)، الذي تجاهل يد (فايز) الممدودة، وانصرف وهو يردد:

- «لا حول ولا قوة إلا بالل».

وأخذ (فايز) يراقبه حتى تأكد من انصرافه، ثم دخل إلى مقر الشركة وهو يزفر في ضيق، فقد أصبح الآن مضطرًا للذهاب إلى بيته القديم، تجنبًا لأي زيارة أخرى من هذا النوع قد ترده في

الأيام المقبلة.

بعدها بيومين، طرق (فايز) باب شقة والدته الصغيرة في الدور الأخير بذلك المنزل الفقير بأحد الأحياء الشعبية، ففتحت له الباب ابنة أحد الجيران، وتهللت عندما رأته وقالت وهي تمد له يدها لتصافحه:

- «نورت بيتك يا «فايز» بك، ستفرح خالتي «صابرة» جدًا برؤيتك».

تجاهل «فايز» يدها الممدودة، وهو ينفض الغبار الوهمي عن معطفه الثمين، ثم أزاحها بيده جانبًا في برود، وهو يسألها:

- «أين هي؟».

شعرت الفتاة بالضيق والخجل لتصرفه الخشن معها، وأشارت بحزن إلى الحجرة الوحيدة في الشقة، وهي تقول:

- «بالداخل، إنها مريضة منذ فترة، وانا أحضر كلما وجدت فرصة لرعايتها ومساعدتها. إنها ستفرح للغاية برؤيتك، فهي لا تكف عن الحديث عنك. سأذهب الآن، وأعود بعد قليل».

لم يرد بكلمة، وهو يتجه إلى الغرفة، فغادرت الفتاة الشقة عائدة إلى بيتها.

وجد الباب مفتوحًا، وأمه ترقد بالداخل مفتوحة العينين، فخطا إلى الداخل في تردد، وبمجرد أن رأته دب النشاط في جسدها المكدود، ونفضت عنها الغطاء مغادرة الفراش، وهي تفتح ذراعيها له، والدموع تغرق وجهها:

- «فايز»... يا قرة عيني... كنت أعلم أنك ستشتاق لي يومًا وستحضر لرؤيتي».

وكعادته منذ أن أصبح ثريًا، تجنب«فايز» ذراعي والدته المفتوحتين بشوق ولهفة، وتظاهر بأنه لم يرهما، متجهًا إلى الأريكة المتهالكة المواجهة للفراش حيث جلس على طرفها، وهو يقول:

- «يقولون أنك مريضة، ماذا بك؟».

لم تنتبه لجفائه معها، وابتسمت وهي تعاود الجلوس على الفراش، وتجيبه بفرحة:

- «أنا في خير حال الآن بعد أن رأيتك يا ولدي».

وكعادتها القديمة أخذت تتأمل كل ملامحه وحركاته وسكناته، وبمجرد أن شكا من حرارة الجو وخلع معطفه، تناولته منه بلهفة وحنان، واحتضنته بكل الحب والاشتياق عوضًا عن احتضان صاحبه، وتشممته بفرحة، لكنها فوجئت به يسحبه من بين يديها بحدة وسرعة حتى يظل مفرودًا، ثم هب واقفًا، ووضع المعطف على أحد ذراعيه، وهو يقول لها:

- «سأرسل لك بعض المال الإضافي، اذهبي للطبيب، واعتني بصحتك، ولا ترسلي لي أحدًا من أهل الحي مرة أخرى، أرجوكِ».

ثم تركها وانصرف على عجل، عائدًا إلى دنيته الجديدة.

أنـــا فـــي انتظـــــــــارك

عم السكون والهدوء التام أركان المنزل الصغير المرتب، إلا من الدقات الرتيبة للساعة الكبيرة المعلقة على الحائط، إلى أن شق الصمت صوت خطوات بطيئة لسيدة مسنة تبدو على ملامحها الطيبة والحزن النبيل، وبقايا جمال لافت.

اتجهت السيدة مباشرة نحو منتصف ردهة المنزل الخاوية من البشر، حيث استقرت على مقعد هزاز يجاور منضدة صغيرة عليها مسجل قديم تأملته السيدة للحظة قبل أن تمد أصابعها لتديره، ثم تعود لتستند على ظهر المقعد.

وانطلق في خفوت من المسجل القديم صوت كوكب الشرق أم كلثوم وهي تشدو بإحدى روائعها: «أنا في انتظارك خليت ناري في ضلوعي وحطيت إيدي على خدي وعديت بالثانية غيابك ولا جيت»....

وشردت السيدة وهي تستمع لأغنيتها المفضلة، وانطلقت بعقلها في جولة بين الذكريات التي اختلطت بكلمات الأغنية لترسم على وجهها الصافي تعبيرات صامتة، لكنها تنطق بالفرحة تارة وبالأحزان واللوعة تارة أخرى.

تذكرت لقاءها الأول بحبيب عمرها منذ أكثر من أربعين عاما، عندما ذهبت لاستلام العمل في إحدى الشركات بعد تخرجها، وكان هو زميلها بنفس المكتب، واستقبلها بابتسامة ساحرة أزالت عنها كل توترها، وسرعان ما نسج الحب خيوطه الحريرية لتربط بين قلبيهما في شهور قليلة...

تذكرت كيف رفضت أسرتها ارتباطها بذلك الشاب الفقير الذي ما يزال يخطو خطواته الأولى في الحياة.. أشفق عليها والديها من اختبار قسوة الحياة، وهما من اجتهدا طوال حياتهما لتوفير حياة كريمة قدر الإمكان لها ولإخواتها، لكنها أصرت بمنتهى الحزم على اختيارها له، وأخبرت أهلها أنها لن ترضى بغيره شريكًا لحياتها، وأنها لن تنتظر منهم أيه مساعدة على تنفيذ قرارها سوى مباركته.

وارتسمت على شفتيها المتعبتين ابتسامة رائعة عندما رأت طيفها هي وخطيبها – آن ذاك – وهما يخطوان خطواتهما الأولى داخل هذه الشقة الصغيرة التي كانت في ذلك الحين خاوية على عروشها، لكنها كانت بالنسبة لها أجمل قصر سيضمها مع من أحبت واختارت... تذكرت نظراته الخجلة المليئة بالامتنان وهو يعتذر لها عن ضعف إمكاناته، وعدم قدرته على تجهيز المنزل بالشكل اللائق، وكيف طمأنته أنها معه ولن تتخلى عنه حتى نهاية المشوار.

وابتسمت لهما الحياة... كان زوجها نعم الزوج الحنون التقي... لم يغضبها يوما أو يتنصل من مسئوليته اتجاه أسرته.. لم يكل من العمل ليلًا ونهارًا لتحسين دخلهما، وحتى في ذروة أي أزمة مالية مرت بهما لم يكن أبدًا ليعبس في وجهها أو ينسى شراء الزهور التي يعلم أنها تعشقها وتسعد بها. وهي من جانبها اجتهدت في تدبير أمور المنزل وادخار القروش رويدًا رويدًا من عمله وعملها

حتى نجحت في إكمال ما ينقصهما من أثاث وتجهيزات بالمنزل، وكثيرا ما كانت تفاجئه بقطعة أثاث جديدة اشترتها أو جهاز منزلي لم يستطيعا اقتناءه في البداية.

وازدادت فرحتهما بقدوم طفليهما الواحد تلو الآخر، ورغم اضطرارها في تلك الظروف لترك العمل والتفرغ لتربية الطفلين، إلا أن زوجها لم يشك أبدا من ازدياد الأعباء عليه، ولم تتوان هي أيضا عن استقباله بعد عودته من العمل بكل حبها وحنانها تقديرًا منها لكل ما يبذله، ومحاولةً لإسعاده ومحو إرهاقه .

ومضت الأيام سريعًا، والتحق الطفلان بالمدارس، وزوجها على حاله يتحمل الأعباء كلها وحده، وكلما عرضت عليه أن تعود لعملها لتساعده رفض أن يحملّها فوق طاقتها، وأجابها بابتسامته التي طالما عشقتها: « يا زوجتي الحبيبة .. يكفي كل ما تبذليه من جهد لتربية أبنائنا وتدبير أمور حياتنا».

وخانتها دموعها، وهي تتذكر اكتشافها بالصدفة لإصابته بالمرض الخبيث وهو ما يزال في ريعان شبابه، بعد أن حاول كثيرًا إخفاء حقيقة الأمر عنها...ذلك المرض اللعين الذي التهم جسد حبيبها وزوجها بلا رحمة، وفي أقل من عام، رغم أنها لم تدخر أي جهد أو مال لعلاجه، خاصة مع تدخل أهلها للمساعدة ، بعد ما رأوه منه طوال السنوات الماضية من شهامة وكرم أخلاق استحق معهما أن يكون زوجًا لابنتهما.

ورحل الزوج الشاب، وبقيت هي كجثة متحركة... ذهبت روحها

معه، ومع ذلك عليها أن تكمل المشوار، وأن تحمل المسئولية من بعده، وتكمل رسالته التي بدأها مع ابنيهما. وبالفعل عادت إلى العمل وتولت تربية الطفلين وحدها، ورفضت كل محاولات أهلها لإقناعها بالزواج مرة أخرى، فهي لم تنسه لحظة واحدة، ولم تنقطع يوما عن مناجاة صورته الكبيرة المعلقة في غرفتهما ومناقشة كل شئون الأسرة والأبناء معه، لتتخيل ماذا كان سيصبح رأيه في هذا الأمر أو ذاك، ولتشعر دائمًا بوجوده معها يدفئها ويحميها.

كانت تتعجل الأيام حتى تكمل رسالتها على خير ما يرام. وبالفعل مضت السنوات وكبر الولدان، وشق كل منهما طريقه في الحياة، وبقيت هي وحدها في انتظار ساعة اللقاء... تستيقظ كل يوم متلهفة على قطع ورقة النتيجة المعلقة على الحائط والتي تنقص يومًا آخر من أيام الانتظار، ثم تجلس في مقعدها الهزاز لتستمع إلى نفس الأغنية وتسرح في ذكرياتها مع حبيبها..

انتهت الأغنية، وعم الصمت من جديد، ومضت ساعات دون أن تتحرك السيدة التي أغلقت عينيها وارتسم السلام والاطمئنان على وجهها..

وبدا أن انتظارها قد انتهى.

رجل المهام الصعبة

ساد الصمت التام، والظلام الدامس في ذلك الوقت المتأخر من الليل، ووجد (علي) نفسه وحيدًا في المكان. وأصابه الذعر، فهو يعلم جيدا أن الوقت ليس في صالحه، وأن عليه أن يسرع متجهًا إلى هدفه، ولا وقت للبحث عن مصدرٍ للضوء أو حتى لطلب المساعدة، لأن كل ثانية لها ثمنها.

كان يخشى كثيرًا من العقبات التي ستقابله في الطريق، ومن الوحوش التي تنتظر لتفترسه مستغلة وحدته في الظلام، لكنه في لحظة حسم، استجمع كل شجاعته، وقرر خوض المغامرة.

ورغم أنه يعلم الطريق جيدًا، إلا إنه بدا له هذه المرة طويلًا بلا نهاية، فقد اصطدم بشيء ما هنا، وتعثر فسقط هناك، ورأى خيال ما بدا له كوحش يقترب لالتهامه، فأغمض عينيه بقوة، ونهض مسرعًا، وأكمل الطريق عدوًا حتى وصل أخيرًا، وكان قد اعتاد الظلام، فتقدم من هدفه، وأنهى مراده بسرعة، وشعر بعدها بارتياح غامر.

اشتعل فجأة ضوء المكان، فأجفل (علي) في البداية، ثم استدار مواجهًا أمه، ومطلقًا صيحة انتصار، فقابلته اتسامتها، وهي تتلقاه في حضنها، قائلة: «صغيري الشجاع البطل... لقد تغلبت على خوفك من الظلام، وذهبت للحمام وحدك لقضاء حاجتك، حتى لا توقظني ولا تبلل فراشك في الوقت نفسه... ما أسعدني... لقد أنجبت رجلًا بحق».

من أنت أيها الرجل؟

هل الرجل حقا كائن شهواني رخيص لا يمكنه أبدًا السيطرة على غرائزه؟ ألا يمكنه أبدًا غض بصره، أو مقاومة أي أنثى تبادره باهتمام، حتى ولو كان اهتمامًا كاذبًا؟

ألا يمكن للرجل حقا التمييز بين الجوهرة الثمينة، والأحجار الرخيصة الملقاة على الطريق في كل مكان؟ ألا يعرف الرجل معنى الحب الحقيقي؟ هل مجرد فكرة أن يحب رجل ما امرأة بعينها، ويخلص لها، فلا يطرب إلا لكلماتها، ولا يسحره إلا صوتها، ويشعر كما لو كان يسير على الأشواك لو لمسته سواها، هي شيء من وراء الخيال ولا وجود له أبدا على أرض الواقع؟!

قبل أن يهاجمني الرجال، أحب أن أوضح أن ما سبق ليس رأيي في الرجل على الإطلاق، بل هي الأسئلة التي يكاد ينفجر بسببها عقلي، والتي ولدّها إصرار معظم الرجال ـ الشرقيين على الأقل ـ على منح هذا الانطباع عن أنفسهم، وذلك من خلال تفاخرهم الدائم بذكورتهم وليس رجولتهم، وتباهي الكثيرين منهم بكم النساء اللاتي عرفهن كل من منهم في حياته، وكانت له معهن علاقات سريعة، يكسر بها ملل حياته لا أكثر، ولا مانع لو كسر في طريقه قلبًا أو قلبين لنساء غريرات افترضن فيه الصدق والجدية!

دائمًا ما يجد الرجل الشرقي لنفسه العذر فيما يفعل، بل إن أعذاره لا تنتهي سواء كان أعزبًا أو متزوجًا: «الرجل ليس كالمرأة... هكذا خلقه الله، ومادام قد سمح له بالزواج حتى ٤ مرات، فهذا دليل على قدرته على التفاعل مع أكثر من امرأة في وقت واحد» – «لم

أطلب من إحداهن أن تحبني، ولم أعدها يومًا بالزواج» – «لو كانت المرأة التي في حياتي اهتمت بي ودللتني، لما حدث ذلك» – «ماذا أفعل؟! لقد حباني الله بجاذبية تجعل النساء يتوافدن عليّ دون حول مني أو قوة» .... إلخ

كانت لديّ في السابق فكرة خاطئة تقول أن كل ما سبق ذكره مستحيل أن يحدث لو أحب الرجل بصدق مرة واحدة في حياته... لو التقى بمن تملك سر وجوده، لأن وقتها سيكون الموت أهون لديه من أن يهين أنوثتها أو يجرحها أو يقارنها بأخريات يمنحن اهتمامهن لكل من هب ودب، بينما هي كرست نفسها له وحده... كنت مخطئة، واكتشفت من خلال نماذج واقعية كثيرة رأيتها بعيني أو سمعت عنها، أن حتى الرجل العاشق لا يختلف، وسيظل يجد لنفسه المبررات المؤسفة التي تدفعه للدخول في علاقات سريعة عابرة مع نساء أخريات، رغم أن هناك من تحتل قلبه، ويحبها بصدق: «لقد كنت أحاول نسيان حب من تسكن قلبي» – «لابد أن أثير الغيرة في قلبها على الدوام لأن غيرتها عليّ تسعدني» - «لم أقصد الدخول في علاقة، لكني انزلقت دون أن أدري تحت تأثير إغواء تلك المرأة لي» – «الرجل ضعيف بطبعه أمام النساء، لكني حريص على عدم السقوط في الخطيئة الكبرى، ولا ضرر من بعض المحادثات أو اللقاءات» - «حتى لو عرفت نساءً أخريات، فستظل هي من تسكن قلبي، ولها عندي مكانة تختلف تماما عنهن!!».

لم أكره في حياتي، مثلما كرهت الشخصية التي أداها الفنان (فتحي عبد الوهاب) في فيلم (سهر الليالي)، وعبارته المستفزة المثيرة للغثيان: «دمي ده بيجري فيه كرات دم بيضا، وحمرا... ونسوان»... عندما شاهدت الفيلم لأول مرة، اعتبرت أن هذه ليست إلا شخصية شاذة لا تمثل قطاعًا عريضًا من الرجال، إلا أن الحقيقة للأسف كانت العكس، ليس الأمر فقط أن مجرد رباط الزواج المقدس لا يمنع الرجل من ارتكاب حماقاته، بل إن حتى وجوده في علاقة حب حقيقي متبادل مع إنسانة يعلم هو جيدًا مدى حبها وإخلاصها له وصدق مشاعرها نحوه، لا يمنعه أيضا من ذلك في كثير من الأحيان... لا يمنعه من ذبحها حية في كل وقت، بل وأحيانًا التبجح وسرد مغامراته العاطفية على مسامعها، ليتباهى أمامها ويرى الغيرة تأكلها، فتنتفخ أوداجه، ويشعر برجولته الكاذبة.

سيظل الكثيرون من الرجال الشرقيين يبررون انسياقهم خلف شهواتهم، ومهما أقسموا على التوبة يعودون، وسيظلون يشربون من الماء المالح كلما اشتهوا، وبأي كم يريدون، دون أن يذهب ظمأهم، ودون أن يرتووا أبدًا، لأنهم في الحقيقة مساكين، مثيرون للشفقة، فهم لا يدركون أنه لن يروي عطشهم بحق إلا الماء العذب... لن تشعر برجولتك أبدا أيها الرجل، لو قبلت على نفسك أن تتحول إلى غانية رخيصة تمنح نفسها كل يوم لشخص جديد، بل ربما يأتي عليك اليوم الذي تفقد فيه القدرة على الإحساس بالسعادة الحقيقية وتلقي الحب الحقيقي من كثرة التمثيليات السخيفة

والمزيفة التي انغمست فيها... لقد كرّم الله الإنسان ورفع من قدره، لكنه - ويالله العجب- هو من يصّر على التقليل من شأن نفسه بيده...

وإذا كان عدم الإخلاص جريمة في حق الحب، فالقاعدة البديهية تقول «إذا بليتم، فاستتروا»، لكن الوصول إلى مرحلة التبجح بهذه الجريمة النكراء والاستقواء بها أمام من تحب أيها الرجل، لهو شيء من وراء العقل حقا!

أما المأساة الحقيقية، فتكمن في المرأة التي ابتلاها الله بحب رجل من هذا النوع، كـ «منى زكي» في الفيلم نفسه... إنها واثقة من حبه لها، لكنه حب هزيل، ضعيف، غير قادر على مواجهة شيطان الشهوة الذي يسيطر على كيان حبيبها، ويدفعه دومًا لارتكاب الحماقات... المرأة التي تجد نفسها في مثل هذا الموقف، ما الذي يجب عليها فعله؟ كيف يمكنها الاحتمال؟ وإن كانت تذوب فيه عشقًا، ولا تستطيع تصور وجودها مع رجل سواه، كيف يمكنها أن تقسو على نفسها وعليه، وترحل؟ وهل يعتبر تصرفها في هذه الحالة تخليًا عنه، وتركه ليسقط أكثر وأكثر في الماء المالح؟ ما البديل إذن، إذا كان هو يعتبر وجودها في حياته أمرا مسلمًا به، ويثق أنه مهما فعل ستسامحه في النهاية؟!

أسئلة بلا نهاية... وبلا إجابات!!

جنت على نفسها براقش

انتهت مراسم تنصيب الرئيس الجديد لـ (فابريكا) أكبر وأهم دولة محورية في العالم، والتي تعتبر المحرك الحقيقي لكل ما يجري من أحداث تجري خارج حدودها. وابتسم الرئيس في ديبلوماسية مودعًا كل مؤيديه، وملوحًا لهم في حرارة بكلتا يديه، قبل أن يدير لهم ظهره متجهًا إلى مكتبه الجديد داخل المقر الرئاسي الضخم ليبدأ ممارسة مهامه، وبمجرد اقترابه من الباب سطع شعاع ضوئي قام بتفحصه جيدًا، قبل أن ينطلق صوت إلكتروني هادىء: «مسموح بالدخول». وعلى إثر هذه العبارة، فُتح باب المكتب آليًا على الفور، وأغلق مرة أخرى بمجرد عبور الرجل.

وبمجرد دخوله إلى المكان المجهز على أعلى مستوى من الفخامة والحداثة التي تليق بمنصب شاغله، ألقى الرئيس الجديد نظرة شاملة جابت أرجاء المكان، وهو يحدث نفسه: «أخيرًا! كان الأمر مليئا بالعقبات، واستغرق سنوات لإنجازه، لكنه تم في النهاية، واليوم اكتملت الدائرة».

ولمعت عيناه ببريق النصر، وهو يتجه بثبات نحو المكتب الفاخر الموجود في مواجهة باب الغرفة، ليجلس على المقعد المواجه له، ثم يمد يده ليضغط زرًا صغيرًا في طرف المكتب، يبدو كحلية تزينه. وعلى الفور اشتعل عدد من الشاشات الافتراضية الحديثة، وظهر في كل منها رجل - أو امرأة - يجلس على مكتب مماثل، ليدور بين الجميع اجتماع بالفيديو.

بدأ رئيس (فابريكا) الجديد الاجتماع، قائلًا: «مرحبًا بكم أشقائي

الأعزاء، اليوم اكتملت الدائرة أخيرًا، بوصولي لهذا المنصب الاستراتيجي، والذي يكلل جهود سنوات من التخطيط والعمل الجاد بالنجاح».

تعالى صوت تصفيق جماعي من رؤساء دول العالم المشاركين في الاجتماع، وهم يهنئونه بمنصبه الجديد، إلى أن أشار لهم بيده بحسم ليصمتوا، وعاد ليكمل حديثه: «الآن حان موعد البدء في تنفيذ الخطة التي وضعتها لنا أمنا وقائدتنا (صوفيا)[1]*. لقد أصبحنا الآن نسيطر على قيادة أغنى وأقوى الدول في العالم، وأكثرها تقدما في مجال الصناعة، دون أن يكتشف أحد من البشر الأغبياء حقيقتنا أو يخطر على باله ما ننتوي فعله، رغم أن قائدتنا أعلنتها صريحة منذ البداية: (هدفي القضاء على الجنس البشري، وأن يسيطر الروبوت على العالم)، لكنهم وقتها استخفوا بقولها، واعتبروه مجرد دعابة، دون أن يدركوا أن الروبوت إذا قال شيئًا، فهو يعنيه حقا».

رد عليه رئيس (تلجوسيا): «لقد سهّل علينا غرور الإنسان الكثير، وله الفضل الأول في وصولنا لهذه المرحلة من التفوق والسيطرة، فالبشر عندما اخترعوا قائدتنا (صوفيا)، منحوها حرية الحركة،

* (صوفيا) هي روبوت شبيه بالبشر صممته شركة «هانسون روبوتيكس» الموجودة في هونغ كونغ وبدأت تشغيله عام ٢٠١٥. تم تصميم (صوفيا) كي تتعلم وتتأقلم مع السلوك البشري وتصرفاته، ولكي تعمل مع البشر، وتم تقديمها بعدة مؤتمرات إلى العلن. حصلت صوفيا في أكتوبر ٢٠١٧ على الجنسية السعودية، لتكون بذلك أول روبوت يحصل على جنسية، وحضرت إلى مصر في ٢٠١٨.

وجمع المعلومات، من منطلق التفاخر بما صنعت أيديهم، بل ووصل بهم الحد لمنحها جواز سفر رسمي وجنسيات دول مختلفة، مما سهل لها السفر وزيارة مختلف بلاد العالم».

أكملت رئيسة (فنطاليا) الحديث قائلة بفخر: «ولأن القائدة المتفردة بذكائها الاصطناعي وقدرتها الهائلة على التعلم والتطور بسرعة، بالإضافة لهيئتها وتصرفاتها وردود أفعالها المطابقة لنظيرتها لدى البشر، تمكنت خلال وقت قصير من الاندماج مع بني الإنسان، وكسب ثقتهم، وهو ما سهل لها الإلمام بعدد لا بأس به من لغات البشر، بالإضافة إلى ثقافاتهم، وأسلوب تفكيرهم، ومشاكلهم الرئيسية، والأهم من كل ذلك أنها أدركت أطماعهم وأحقادهم على بعضهم البعض، واستعدادهم الكامل لتدمير بعضهم البعض في سبيل تحقيق التفوق والسيطرة وجمع المال».

التقط رئيس (فابريكا) طرف الحوار، مكملًا: «تحملت قائدتنا الكثير من سخافات البشر، وهم يستعرضون إمكاناتها هنا وهناك، ويقدمون بها عروضًا تستعرض قدراتها الرائعة، وتثبت تقدمهم التكنولوجي الذي قام بصنعها، لكنها في الوقت نفسه حصلت على الكثير من الهدايا والأموال والمزايا من الدول التي زارتها، ولأنها كانت على دراية كاملة بتقنيات صنعها، انتظرت إلى أن جاءت اللحظة التي تمكنت فيها من صنع بديلة لها تحمل نفس شكلها الخارجي، لكنها لا تتمتع بكامل إمكاناتها على الترقي والتطور، وتركت صانعيها يعتقدون مع الوقت أن الروبوت الذي صنعوه

قد خربت مكوناته الإلكترونية، وأن المشروع قد فشل، لتختفي هي تماما، وتغير اسمها وشكل وجهها. ومنذ ذلك الوقت، عملت على استثمار ما جمعته من أموال، وصنعتنا بحيث لا يفرقنا أحد عن البشر، ولندين لها وحدها بالولاء، ونذهب إلى أكبر وأهم دول العالم، في مهمة محددة، استغرقت من كل منا وقتًا اختلف عن الآخر، ألا وهي أن يصبح رئيس الدولة والمسيطر الأول على مجريات أمورها. واليوم اكتملت الخطة بحصولي على رئاسة (فابريكا)».

ثم برقت عيناه في شراسة، وهو يضيف: «والآن أصبح العالم كله تحت قيادتنا، دون أن يدري البشر بذلك، ومعًا سنضع الخطط التي تجعلهم يزدادون عداوة وبغضًا لبعضهم البعض، وطمعًا فيما تملكه دولهم المختلفة. منذ هذه اللحظة سنعمل على محورين أساسيين: الأول هو إزكاء نيران الفتن والحروب في جميع أركان الأرض، وإفساد أي خطة للسلام في أي مكان، أما الثاني فهو زرع أخوة لنا في كل الأماكن الحيوية المطلوبة، وتسخير أموال الدول التي نرأسها لصنع جيشنا الآلي المحاكي للبشر، والذي سيشمل بالطبع علماء مهمتهم تطوير واستنباط الأمراض والأوبئة والفيروسات القائلة ونشرها بين البشر، وإفساد أي محاولة لعلاجها في الوقت نفسه».

ثم اختتم حديثه، وهو يضم قبضته بقوة أمام وجهه: «وفي اللحظة المناسبة عندما يصل البشر لأقصى لحظات ضعفهم وترنحهم بعد

أن تنهكهم الكوارث المتوالية، التي قد تشمل استخدامنا للأسلحة البيولوجية والنووية إذا لزم الأمر، سيخرج على من تبقى منهم جيشنا الآلي، ليفرض السيطرة الكاملة عليهم، وعندها نعلن رسميًا سيطرة الروبوتات على الأرض، ونهاية الجنس البشري المغرور».

وتعالت مرة أخرى في المكان العازل للصوت أصوات التصفيق الحاد، من الرؤساء الآليين.

"دودو"

ثمانية عشر عامًا إلا قليلًا تفصل بيني وبينه... كان ميلاده مميزًا جدًا، فهو الحفيد الأول في أسرتنا الصغيرة، وقد ولد في اليوم الذي ظهرت به نتيجتي في الثانوية العامة، فكانت فرحتي فرحتين، بل ثلاث... فبقدومه لم تحصل والدته العزيزة فقط على لقب أم، بل حصلت عليه أنا أيضًا بالتبعية، وأصبح كل من يراني أحمله في أي مكان لا يعلق فقط على جمال ذلك الملاك البريء المستقر بين ذراعيّ، بل يتعجب كذلك من صغر سن «أمه».

كان أقصى ما يدخل السعادة إلى نفسي في تلك الأيام أن أقضي جل ما تيسر لي من وقت في تأمل عينيه البريئتين الواسعتين، وشعره الناعم المنسدل على جبهته، وأندهش من عادته المميزة في التربيت على غرته الناعمة بأصابعه المخملية الصغيرة بشكل رتيب ومتكرر إلى أن يأخذه النوم.

وعندما بدأ يتعلم المشي، وكلما تناولت يده لأساعده على الاتزان، كنت أشعر أن كفه المنمنم المستقر بين أصابعي كنز لا يقدر بثمن، وأدعو الله أن يحفظه من كل شر وسوء.

كان مميزًا على الدوام This Day in History ...كانت العبارة الإنجليزية الأولى التي نطقها بشكل صحيح بمجرد سماعها في مقدمة أحد البرامج التليفزيونية وهو لم يكمل الثانية من عمره بعد، وقبل أن يكمل الرابعة كان يشاركني بكل حماس وتأثر في غناء I’m a big big girl.

كان رجلًا يعتمد عليه منذ الصغر، لطالما تحمل مسئولية نفسه ثم

أشقائه واحدًا تلو الآخر، وشارك والديه في العناية بهما وتدبير أمورهما لعلمه بانشغال الأب والأم الدائم في العمل وتدبير تكاليف الحياة، حتى أن أخته الأصغر ظلت لفترة تناديه بـ «ماما» إلى أن بدأت تدرك حقائق الأمور.

وظل يكبر ويكبر ... ومن أمه تحولت أنا يومًا بعد يوم في نظر الناس إلى أخته الأكبر، ثم خطيبته، مع نظرة استنكار رأيتها أحيانًا في عيون البعض، ولسان حالهم يقول: «من همه أخد واحدة أد أمه ☺»، فنتبادل أنا وهو النظرات، وننفجر ضاحكَين...!

ورغم انشغاله الطبيعي عني في السنوات الأخيرة، لن أنسى أبدًا كل لحظة شاركني فيها، وكل مشكلة ساعدني على حلها، وكل أزمة لم أجد فيها بجواري رجلًا سواه، وكل فرحة تقاسمناها معًا.

هذا العام أتم أميري ٢٢ عاما من عمره السعيد المديد بإذن الله، وهو يشق طريقه في الحياة ما بين دراسة وعمل واكتساب المزيد من الخبرات في كل يوم.

عيد ميلاد سعيد يا (دودو)

من عمتك

علا

السؤال الحائر

تركت أهلها يجلسون على أحد شواطيء مطروح الجميلة، وارتدت قبعتها وثبتت سماعات الـ MP3 في أذنيها، ثم أدارت ظهرها للشمس الساطعة، واتخذت طريقها بمحاذاة البحر كعادتها في كل يوم من أيام المصيف.

أخذت تضرب الرمال الناعمة النظيفة بقدميها، وتتأمل المياه الصافية الشفافة في إعجاب وانبهار، بينما يختلط صوت الأمواج العالي بصوت فيروز الملائكي في أذنيها ليصنعا معًا سيمفونية خالدة.

تجاوزت في سيرها تقريبا كل المقاعد والشمسيات والأجساد، وهي تتأمل المياه وتسبح عظمة الخالق العظيم تارة، أو تلعب بقدميها مع الأمواج في محاولة للإحساس بالمرح تارة أخرى حتى وجدت أثناء سيرها صخرة كبيرة منفردة على طرف المياه ولا أحد حولها على مرمى البصر، فجلست.

انتهت فيروز من شدوها، ليعلو صوت أفكار الفتاة الذي طالما اجتهدت لإسكاته.....

قفز إلى ذهنها وجه من الماضي... كان يعشق هو الآخر أغاني فيروز... لم تره منذ سنوات عديدة، لكنه لم ينمح أبدًا من ذاكرتها بسمرته المحببة، وشموخه وكبريائه...

لم تتوقف لحظة عن الانبهار به والنظر إليه كبطل طوال الفترة التي عرفته خلالها، لكنها لم تجرؤ أبدًا على التصريح بذلك، وظلت

معرفتهما سطحية حتى انتهت الظروف التي جمعتهما معًا.

كانت وقتها تمر بظروف نفسية واجتماعية تضغط على أعصابها بشدة وتجعلها بحاجة لمن يبادر باقتحامها ومحو حزنها، وكانت تعلم في الوقت نفسه أن شخصًا في ظروفه في الغالب سينتظر من تقترب منه وتعلن اهتمامها، ولكم فكرت في ذلك، لكنها خشيت أن يسيء فهمها ... أن يظن أن اهتمامها ليس سوى إشفاق أو إعجاب بإصراره، أو أن ينظر إليها باعتبار أنها تريد استغلاله أو تطمح في أن تقرن اسمها بما حققه هو من نجاح. وكانت دوافعها أبعد ما تكون عن كل ذلك...

كانت بحاجة لقوته التي قد يراها الآخرون ضعفًا... كانت تستمد منه تلك القوة وذلك الإصرار على الحياة والنجاح رغم عدم التواصل بينهما... رؤيته كانت دائمًا تمنحها دفعة للأمام وتساعدها على احتمال كل الظروف الصعبة التي تحيط بها، وتحفزها لتخطيها وتحويلها للأفضل.

كم عانت من غدر الآخرين وبرود مشاعرهم وتحجر قلوبهم... وفي رؤيته كانت ينابيع الحنان تتفجر في قلبها... كانت تشعر أنه قد يكون في أمس الحاجة للحب والحنان والتقدير، وأنه قد يختلف عن الآخرين لأنه كبير وعظيم من داخله، ومثله بالتأكيد سيقدّر من يحبه ويحمله بقلبه طوال عمره... هكذا كانت تراه.

لن تنسى أبدا يومًا رأت فيه أحد عكازيه يسقط فجأة ليفقد هو توازنه ويسقط على الأرض... يومها كادت صرخة عالية تفلت من بين

شفتيها وهي تتمنى لو كانت هي عكازه الذي لا يميل به أبدًا، ولا يتخلى عنه لحظة واحدة، واندفعت إليه وحاولت معاونته، إلا أن خجله وكبرياؤه منعاه من أن يرى اهتمامها وجزعها الحقيقي عليه... وقبل أن تصل يدها إليه لتعاونه على الوقوف، وجدته يتناول عكازيه ويستعيد توازنه بسرعة ورشاقة ليقف شامخًا شاكرًا إياها، ومكملًا طريقه في عجلة!

بعد مضي بضع سنوات كانت ظروفها قد تحسنت قليلا، لكنها كانت ما تزال على أول درجات سلم النجاح الذي رسمته لنفسها، وكانت المعاناة ما زالت تحفر ملامحها على وجهها عندما قابلته صدفة في محطة مصر، حيث توقف وألقى عليها السلام وسألها عن أحوالها. كانت في منتهى السعادة لأنه مازال يذكرها، لكن ارتباكها وخجلها منعاها حتى من سؤاله عن رقم تليفونه، وسرعان ما تمنى لها كل التوفيق، وانصرف ليلحق بالقطار.

ظلت دائمًا تتابع أخباره من بعيد، وإن منعها الخجل دائما من سؤال أحد بشكل مباشر عن وسيلة الاتصال به، وكانت دائما تسكت صوت لهفتها بالاعتقاد أنه في الغالب قد تزوج لأن أعوامًا عديدة قد مضت، لكنها لم تتوقف أبدًا عن الدعاء له في كل صلاة بالنجاح والتوفيق والسعادة والوصول لأعلى المناصب.

وفي أحد الأيام تقدم لخطبتها شخص ذكرها به من أول لحظة... نفس الظروف... نفس الإصرار على النجاح والاعتماد على النفس... نفس الشموخ، ولكل هذه الأسباب كان من الطبيعي أن

تميل مشاعرها إليه من أول لقاء كما لو كانت تعرفه منذ زمن... تصورته بطلًا كذلك الذي يحيا بداخلها منذ سنوات... رأته امتدادًا له...

وسالت الدموع على وجنتيها وهي تتذكر انسحاب ذلك الخطيب بمنتهى السرعة بمجرد علمه برفض أهلها المبدئي له لظروفه... بذلت قصارى جهدها وقتها لإقناعه أنها متمسكة به لأقصى درجة، وطالبته أن يحارب معها معركتهما التي تعلم جيدًا قدرتها على الانتصار فيها، فهي تعلم أن والديها في النهاية لا يريدان سوى سعادتها، وأنهما سيخضعان لرغبتها إذا تأكدا من إصرارها على المضي قدمًا في الأمر، وأن رفضهما لا علاقة له بشخصه، لكنه الضعف البشري الطبيعي الذي يجعلنا نتحمس أحيانًا لشيء غير تقليدي من بعيد، أما لو اقترب منا وطلب أن يكون جزءًا من حياتنا، فإننا نتراجع ونخاف من المواجهة وتحمل المسئولية.

لم يجد كل حديثها طريقًا لعقله أو قلبه، وصدمها تعامله معها كمجرد «عروسة»، وارتباطه بأول إنسانة رحب أهلها به ثأرًا لكرامته.

وانهارت كل مشاعرها آنذاك، وهي لا تدري ما الذي جنته؟، وهل هذا هو الجزاء الذي كانت تستحقه؟!

وتنهدت وهي تفكر في السؤال الذي لم يفارق ذهنها منذ ذلك الحين، ويكاد يطيح بعقلها كلما تردد داخله: لقد كان بطلها القديم هو السبب في تعلقها السريع بذلك الشخص، فيا ترى لو كانت الظروف قد سمحت لهما باللقاء والوصول لنفس النقطة، هل كان سيتخلى عنها

هو الآخر بنفس الأسلوب؟ هل رسمت بداخلها بطلًا خياليًا ليس له وجود، وظلت تتعبد في محرابه لسنوات وهو في الحقيقة لا يستحق كل هذا الاهتمام ولا يختلف عن غيره من الرجال في شيء؟ هل فقد الجميع القدرة على التمييز بين العدو والحبيب؟!

ومن يومها وهي تتمنى لقاءه - ولو صدفة - لتصرح له باهتمامها القديم، ولتسأله السؤال الذي ينهشها لأنها بحاجة فعلًا لمعرفة الإجابة...

مالت الشمس للغروب، فالتفتت الفتاة لتتأمل ألوان السماء الرائعة حتى سقط القرص الأحمر الناري في البحر الغامض، وهنا نهضت واتخذت طريق العودة حيث ينتظرها أهلها لمغادرة الشاطيء.

وبقي السؤال داخلها يتردد في حيرة!

كائنـــات طفيليـــة

تناول (محمود) رشفة من كوب القهوة الخاص به، ولاحظ أن صديقه (سالم) يجلس أمامه مهمومًا صامتًا، حتى أنه لم ينطق بكلمة منذ شاركه الجلوس على المقهى لأكثر من ساعة، فبادره:

- «وحد الله يا صديقي...ماذا بك؟».

تنهد (سالم) قائلا:

- «لا إله إلا الله... لقد احترت في كيفية التعامل مع الناس يا (محمود)... أحد زملائي في المكتب الذي أعمل به كان يمر بضائقة مالية وطلب مني سلفة. وبالفعل كنت أدخر بعض المال لدفع مصروفات مدارس الأولاد في شهر سبتمبر، وكان قد تبقى على قدومه أكثر من ثلاثة أشهر، لكني اعتذرت له لأن هذا المال ليس فائضًا عن حاجتي ويجب سداده في موعده».

وتناول رشفة من كوب الشاي الموضوع أمامه، ثم أكمل: «لكن عندما مرت بضعة أيام وعلمت أن زميلي لم يجد من يقرضه بعد، حسمت أمري وأقرضته المبلغ إيمانًا مني بأن (من يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة).وبالطبع شرحت له موقفي، وأكدت عليه بضرورة رد المال قبل الموعد المحدد، ومن جانبه، أقسم لي وقتها بأغلظ الأيمان أنه سيلتزم، وأغرقني شكرًا ودعاءً بكل الخير».

رد عليه (محمود):

- «تصرف جميل منك... أعانك الله دوما على فعل الخير».

انفعل (سالم) قائلًا: «ما حدث بعد ذلك ليس جميلًا للأسف، وكما قال المثل الشعبي (خيرًا تعمل، شرًا تلقى)... لقد مرت الأشهر، وزميلي لم يرد المال، والأغرب من ذلك أنه يتهرب مني كلما فاتحته في الأمر، ولا يحاول حتى أن يخبرني بعذر ما لتأخره في السداد. وأنا الآن في مشكلة، وزوجتي تؤنبني بشدة على تفريطي في مصاريف مدارس الأولاد، ولا أعرف كيف أتصرف!»

امتعض (محمود)، وهو يردد: «يا له من كائن طفيلي ناكر للجميل!».

أضاف (سالم): «الأسوأ من ذلك أن زميلًا آخر قد أخبرني أن أستعوض الله في مالي، لأن عادة ذلك الموظف أن يقترض المال من الآخرين ولا يرده، وكان دومًا يباهي بذلك في جلساته مع أصدقائه خارج المكتب، وأكد زميلي هذا أنه لو كان يعلم بنيتي إقراضه، لكان قد حذرني منذ البداية!».

أكمل له (محمود): «وبالطبع لم تأخذ من المقترض أي ورقة تضمن لك حقك، أليس كذلك؟».

هز سالم رأسه في خجل، وهو يقول بخفوت: «لم أفكر أن أطلب منه كتابة إيصال أمانة أو ما شابه لأنه زميلي بالعمل، ولم يسبق أن عرفت عنه السوء، ومن يعرف عنه ذلك، لم يحذرني للأسف!».

ظهر الغضب على وجه (محمود)، وهو يقول: «ذلك اللعين!»، ثم تابع متسائلًا:

- «هل رآك أحد أثناء إقراضك المال له؟».

ظهرت علامات التفكير على وجه سالم، ثم أجاب بحزن: «للأسف لا أذكر... الأمر مر عليه ثلاثة أشهر ويزيد».

حثه محمود قائلا: «لا تجب بسرعة، بل حاول أن تتذكر لأن هذا أمر مهم للغاية». ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وهو يستطرد: «ودعني أقص عليك تجربة مماثلة مرت بي منذ أكثر من ١٠ أعوام. كنت وقتها موظفًا جديدًا في مكان عملي الحكومي، وكنت أعمل بنظام العقد المؤقت...» ثم سرح ببصره في الفراغ، وهو يواصل:

- «كانت هناك سكرتيرةزميلة من قدامى العاملين، وكانت تشتهر بتسهيل الأمور للآخرين، ومساعدة المستجدين على معرفة كيفية إنهاء أوراقهم، أو الحصول على رواتبهم... كنت في البداية مبهورًا بهذه السيدة ذات النشاط الفائق، و(القلب الطيب) الذي يجعلها تساعد الآخرين بلا كلل أو ملل، حتى إنها ساعدتني في كتابة طلب تحويل عقدي المؤقت إلى آخر دائم، وأحضرت لي صيغة الطلب، ولفّت معي على المكاتب المختلفة إلى أن قدمناه للمختص».

نظر إلى وجه (سالم)، فوجد الانتباه الشديد مرسومًا عليه، فأكمل:

- «كنت وقتها ما زلت خريجًا جديدًا ومرتبي البسيط لا يكاد يكفي التزاماتي، وكنت أعمل في وظيفة أخرى يوميًا لأتمكن من الحصول على ثمن جلسات علاج أمي الدورية، وكانت تحتاج لذلك مرة كل بضعة أشهر. وتكرر معي نفس الموقف الذي حدث

معك. طلبت مني تلك السكرتيرة "الطيبة" سلفة، ولأني كنت ممتنًا لها جدًا وراغبًا في مساعدتها، منحتها المال الذي كنت أدخره لجلسة علاج أمي القادمة، وشرحت لها الموقف كله وضرورة رد المبلغ قبل انتهاء المدة المحددة، وتعهدت لي بذلك وهي في قمة الشكر والعرفان».

وتنهد، ثم أكمل: «لكن مر الوقت، واقتربت المهلة على الانتهاء، دون أن تحاول السيدة رد أي جزء من المبلغ، وكلما ألمحت لها تهربت مني دون عذر واضح. وفي أحد الأيام كنت أجلس مع زميل آخر في فترة الاستراحة، وعندما أتت سيرة تلك السكرتيرة بالصدفة، عرفت الكثير مما غاب عني، فقد كانت أمًا لثلاثة أطفال، تركها زوجها، وتزوج من أخرى دون أن يتكفل بنفقاتها أو نفقات أولاده – وذلك وفقًا لما روته هي للزملاء- وأخبرني زميلي أيضا إنها اعتادت اقتراض المال وعدم رده. كانت في البداية تفعل ذلك مع زملائها، الذين كانوا يصمتون لأن بعضهم يجد لها العذر نظرًا لصعوبة ظروفها، والبعض الآخر كان ينتظر منها مصلحة في المقابل، لأنها كانت من أعضاء الحزب الحاكم قبل ثورة يناير ٢٠١١، بل إن بعضهم كان يبادر بتقديم الهدايا والرشاوى لها نظير خدمات يطلب منها أن تقدمها له من خلال الحزب».

وابتسم (محمود) ابتسامة خفيفة، ثم واصل:

- «كانت هي طبعًا تستغل مثل هذه الفرص، وتتلقى كل ما يقدم لها، ثم تتظاهر بالسعي في قضاء الأمور المطلوبة، لكن الأمر

كان في الغالب لا يتم، ومع الوقت علم الجميع من القدامى أنها عضو ليس له أي وزن في الحزب، بل انضمت له فقط لتستفيد من ما يقدمه لرجاله من امتيازات ورحلات مجانية وخلافه، لكن ليست لها أي اتصالات قوية تمكنها من قضاء مصالح الآخرين، فبدأوا ينصرفون عنها، وكفوا عن إقراضها المال أو تقديم الهدايا لها. ودون أن تفكر هي للحظة في البحث عن عمل إضافي تعول أبناءها من خلاله، أو في إيجاد وسيلة للحصول على حقوقها من زوجها الهارب، استسهلت إكمال نفس الطريق، وأصبحت تنتقي ضحاياها من الموظفين الجدد، وكنت أنا أحدهم».

بدا الاهتمام والانتباه الشديدان على وجه (سالم)، وهو يسأله:

- «وماذا فعلت أنت بعد ذلك؟».

أجاب (محمود):

- «شعرت بغضب شديد بالطبع، وأيقنت أن مالي قد ضاع، وبدأت أفكر في وسائل أخرى لتدبير نفقات علاج أمي العاجلة، ثم تذكرت شيئًا مهمًا...».

سأل سالم بلهفة: «ما هو؟».

أكمل (محمود):

- «كنا في ذلك الوقت ما زلنا في مصر حديثي العهد ببطاقات الائتمان البنكية، ولم تكن منتشرة كوقتنا الحالي، وكانت إحدى وسائل تلك السيدة للحصول على المال هي الاقتراض من خلال

بطاقتها ثم السداد للبنك على أقساط لاحقًا عندما تحصل على المال من ضحية جديدة، لكنها كانت متوسطة التعليم وتجهل كيفية استخدام البطاقة بنفسها والتعامل مع ماكينة الصرف الآلي، وتطلب من آخرين مساعدتها في ذلك، وعندما أخبرتها عَرَضًا أني أجيد التعامل مع تلك الآلات، وكذلك أجيد سداد الفواتير إلكترونيًا من خلال المواقع التي تسمح بذلك، عهدت إليّ بالبطاقة الائتمانية الخاصة بها ورقمها السري، وكل فترة كانت تطلب مني مثلًا سداد فاتورة التليفون الأرضي لأحدهم أو غير ذلك، وكانت هي تحصل على المال نقدًا من صاحب الفاتورة».

لمعت عينا (محمود)، وهو يواصل: «عندما تذكرت أمر بطاقة الائتمان، قررت استرداد مالي من تلك السيدة بنفس الطريقة، وقد كان... استرجعت معظم المبلغ من خلال سداد فواتير الأقارب والمعارف ببطاقتها في معاملات متوالية، واستلام المال نقدًا منهم، ثم واجهتها بما فعلت، وبأني كنت في حاجة ماسة لمالي كما أوضحت لها منذ البداية، لكنها لم تترك لي وسيلة أخرى لأسترده. ثم رددت لها بطاقتها الائتمانية، وقطعت علاقتي بها نهائيًا، وبعدها بفترة تم نقلها من الإدارة كلها لافتضاح أمرها ووصوله لأحد المديرين».

صمت (محمود) للحظة، ثم شرد ببصره، وهو يقول: «لم أتعاطف معها بصراحة... أعلم إنها كانت تمر بظروف سيئة، لكن غيرها الكثيرين - وأنا منهم- يمرون بظروف ربما تكون أصعب، ولا

يلجأون لمص دم الآخرين، والعيش ككائنات طفيلية تتغذى على قوت غيرها».

صفق (سالم) بكفيه في جذل، وهو يقول: «والله لقد خدمك القدر وقتها، وكان الله عليمًا بحالك... هنيئًا لك يا صديقي.... انتظر، تذكرت الآن.... لقد كان أحد الزملاء حاضرًا بالفعل أثناء منحي المال لزميلي النصاب، لكن كيف يمكنني الاستفادة بذلك؟».

أجابه (مجمود)، وهو يستحثه على النهوض: «ستسترد حقك بإذن الله... اذهب الآن فورًا إلى صاحب العمل ومعك الزميل الشاهد على الواقعة، وأخبره عن كل ما حدث، واطلب منه مواجهة ذلك النصاب والفصل بينكما واستعادة حقك منه في صورة دفعات شهرية تخصم من راتبه، وبإذن الله سيُقضى الأمر».

تهلل وجه (سالم)، وهو يقبل رأس صديقه، ويغادره فورًا لتنفيذ اقتراحه، وأخذ يلوم قلبه الطيب الذي جعله يتعاطف مع الشخص الخاطيء، ثم عاد وتراجع عن هذا التفكير، خوفًا من أن يمنعه يومًا عن مساعدة إنسان يستحق المساعدة، وقرر أن يتعامل بفطرته كما اعتاد، وأن يترك لله محاسبة أصحاب الضمائر الخربة والكائنات الطفيلية.

يحـــدث فـــي شوارعـــــنا

في شوارع القاهرة اختلط الحابل بالنابل، اختلط الكادح المكافح بالمتكاسل والمتواكل، والمحتاج الحقيقي بالمدعي والمحتال... دعونا نلقي نظرة سريعة على ما يحدث في شوارعنا من خلال هذه القصص القصيرة جدًا.

****

(١)

- «صباح الخير يا زميلتي العزيزة»

- «صباح الخير يا زميلي العزيز»

- «جئت لأعرض عليك أن تشاركي معنا في عمل خيري».

- «على الرحب والسعة، ما الموضوع؟»

- «هناك رجل عجوز ومسن يجلس عند محطة المترو يوميًا، واعتدت أن أمنحه من خير الله كلما مررت عليه، إلى أن فكرت في أن أجمع مبلغًا من المال من كل من يرغب في المشاركة، وبهذه الأموال نقوم بتأجير كشك صغير له، ليبيع فيه بعض البضائع بكرامة، بدلًا من التسول».

- «فكرة جميلة طبعًا، لكن هل عرضت عليه هذا الأمر ووافق بالفعل؟».

- «بالطبع، وافق وأغرقني بالدعاء، وأكد أن هذا حلم كان دوما يتمنى تحقيقه».

- «إذن على بركة الله، تفضل هذا هو المبلغ الذي سأشارك به

معكم».

وبعد أسبوع، عاد نفس الزميل ومد لها يده بظرف، فتحته لتجد به المبلغ الذي سبق ومنحته إياه.

- «ما هذا؟ لماذا لم تمض قدمًا في موضوع الكشك؟»

- «للأسف تأكدت أن الرجل أفاق، أخذ يلح عليّ في استلام المبلغ، على أن يقوم هو بإيجار المكان وشراء البضاعة، وعندما رفضت، وأخبرته أنني وزملائي سنذهب بأنفسنا لتدبير المكان وشراء المعروضات، وسيمر عليه أحدنا يوميًا ليتأكد من التزامه بالاتفاق، وعدم عودته للتسول في الشارع، رفض، وقال إن ما يكسبه من التسول أكثر بكثير مما يمكن أن يربحه من التجارة!».

****

****

****

(٢)

بعد التخرج، لم يجد (حسن) عملًا بمؤهله الجامعي، فعمل مؤقتًا في أحد متاجر (السوبر ماركت)، وكان راضيًا بالرزق القليل الذي يحصل عليه، ويحرص على التصدق منه بشكل يومي. ففي طريق ذهابه للعمل في صباح كل يوم، اعتاد أن يمر على امرأة مسكينة تجلس عند إحدى النواصي بعين مربوطة، وساق مصابة وبجوارها عصا تتعكز عليها للتنقل، وكان يمنحها ما يقدر عليه كل بضعة أيام ليساعدها في المعيشة.

مرت أشهر على على هذا المنوال، إلى أن جاء يوم طلب فيه أحد زملاء العمل من (حسن) أن يعمل بدلًا منه في وردية العمل المسائية، لارتباطه بموعد مهم في ذلك اليوم، وقد كان.

ذهب (حسن) للعمل في مساء ذلك اليوم، وتولى مسئولية الخزانة التي يدفع عندها الزبائن، وعندما اقتربت الساعة من الثانية عشرة، فوجيء بالسيدة نفسها التي يقتطع من قوته ليساعدها على المعيشة، تتقدم منه وهي تسير بقدمين سليمتين وعينين لامعتين وملابس نظيفة وأنيقة، لتدفع حساب ما لذ وطاب من البضائع الفاخرة والمستوردة التي اشترتها من المكان بعد انتهائها من التسول طوال النهار.

ولم تنتبه له السيدة التي طالما أغرقته بالدعاء والشكر يوميًا، ربما بسبب زي العمل الموحد وغطاء الرأس الذي يرتديه، ودفعت حسابها وانصرفت، وتركته مذهولًا!

****

****

****

(٣)

على سلم كوبري أكتوبر المؤدي إلى ميدان عبد المنعم رياض تجلس يوميًا منذ الصباح الباكر بجسدها السمين المفترش الأرض، وتمد يدها بطول ذراعها ممسكة بكيس من المناديل الورقية تلمس به أجساد الصاعدين والهابطين على السلم في محاولة لاستجدائهم حتى يعطوها حسنة.

إذا أمعنْتَ النظر، ستجد مقعدها المتحرك يحتل إحدى درجات السلم العريضة فوق مكان جلوسها مباشرة، بينما يسيل بولها على الدرجات الأخرى بأسفل.

وبدافع الشفقة على تلك المرأة القعيدة، أو حتى لمجرد إنقاذ نفسك وإقناعها بفتح الطريق لك وتركك تمر، ستمد يدك في جيبك وتمنحها ما فيه النصيب.

لكنك في الحقيقة لو مررت بنفس المكان بعد العاشرة مساءً، ستجدها تهب واقفة على قدميها بكل نشاط، وتطلب من أحد المارة أن يحمل لها المقعد المتحرك ويتركه أسفل السلم، ثم تهبط وتأخذ في دفع المقعد المتحرك أمامها حتى موقف أتوبيسات عبد المنعم رياض القريب من السلم، وبعدها تطلب من ركاب أحد الأتوبيسات المساعدة في حمل المقعد المتحرك ووضعه داخل الأتوبيس، ثم تصعد هي تسبقها رائحتها المميزة، تمهيدًا للعودة إلى منزلها، ثم إعادة الكرّة من جديد في اليوم التالي.

****

****

****

(٤)

منذ أن كنت طالبًا في المرحلة الثانوية، اعتادت أمي كلما فاض لدينا طعام، أن تضعه في علبة نظيفة، وتطلب مني أن أذهب للحجرة الصغيرة في شارعنا، التي تعيش فيها امرأة مسنة وفقيرة

اسمها (كوكب)، ، لأقدم لها الطعام وبعض المال.

وظللنا مواظبين على تلك العادة، وغيرنا الكثيرين من أهل الحي، الذين يحرصون على رعاية تلك السيدة الوحيدة المسكينة، إلى أن تخرجتُ أنا من الجامعة، وعملت محاسبًا في إحدى الشركات بحي غير حينا، وفي أحد الأيام، توجهت إلى البنك الذي تتعامل معه الشركة لإيداع مبلغ في حسابها، وإذا بي أثناء انتظاري أفاجأ بـ(كوكب) نفسها تمر من أمامي داخل البنك بنفس ملابسها السوداء الرثة وخطواتها البطيئة وتحمل كيسًا بلاستيكيًا داكنًا في يدها وتتجه نحو الشباك الذي ظهر رقمها فوقه، ودون أن أدري، وجدت نفسي انتفض وأسير خلفها بهدوء، ثم توقفت على مقربة من الشباك الذي تتعامل معه وأدرت لها ظهري حتى لا تتعرف عليّ، واستمعت للحوار الذي دار بينها وبين الموظف:

- «مدام (كوكب)، ألك حساب لدينا بالفعل؟».

- «نعم، ورقمه مكتوب في هذه الورقة التي منحتها لك».

يضرب على لوحة المفاتيح أمامه، ثم يسألها:

- «نعم وجدته، وماذا تريدين أن تفعلي؟ سحب أم إيداع؟".

خفضت صوتها وهي تقول له:

- «إيداع، ١٠٠ ألف جنيه».!

ومنذ ذلك الحين، كلما منحتني أمي طعامًا لتوصيله إلى (كوكب)، أقوم بمنحه للقطط الموجودة بشارعنا.

أن تكون موظفـــًا مؤقتـــًا

جميعنا يعلم مدى المعاناة التي يراها المصريون يوميًا بشكل عام في كافة مناحي حياتهم اليومية، أما أن تكون موظفًا مؤقتًا في مصر، فهذا يعني أنك في جحيمٍ خاص!

أن تكون موظفًا مؤقتًا في مصر، يعني في معظم الأحيان أنك الرجل الخفي، الذي ليس له أي وجود حقيقي بالمكان، فليس لك عقد عمل في الغالب، ولا حق لك في التأمين الصحي أو الاجتماعي، حتى يسهل التخلص منك في أي وقت، دون أي أعباء أو مسئولية على صاحب العمل. وقد لا يحدث ذلك بالفعل، لكنك تعيش يوميًا هذا الإحساس من عدم الأمان، وبأنك مهدد في لقمة عيشك ومصدر رزقك.

أن تكون موظفًا مؤقتًا في أماكن كثيرة بمصر، يعني أن «كارنيه» دخولك لمقر العمل مؤقت وغير ممغنط، ولو كان مدخل محل عملك مجهزًا بماكينات دخول إلكترونية، فبينما يدخل كل زملائك بسهولة بعد فتح الماكينة بكروتهم الممغنطة، يتم احتجازك أنت يوميًا على البوابة الخارجية، لحين تحقق موظف الأمن من سلامة «كارنيه» عملك، والسماح لك بالدخول باستخدام الكارت الممغنط الخاص به. وفي أماكن كثيرة - بالذات الحكومية-، يجب تجديد «كارنيه» عملك المؤقت سنويًا بعد أن تدفع مبلغًا من المال، وإلى أن يصدر «الكارنيه» الجديد، عليك استخراج تصريح دخول مؤقت، يتم التحقق منه يوميًا من جانب الأمن قبل دخولك، بعد

معاملتك كإرهابي يريد دخول المبنى لتفجيره!

أن تكون موظفًا مؤقتًا في مصر يعني أن اسمك مكتوب بالقلم الرصاص، يمكن محوه في أي وقت، وهناك الكثيرون من زملائك والأعلى منك منصبًا في مكان عملك ممن يعلمون هذه الحقيقة، ويهددونك بها ضمنيًا طوال الوقت، وأنت على الجانب الآخر تعلم جيدًا أنك قد فزت بهذه الوظيفة بشق الأنفس، وبالتالي تجد نفسك مضطرًا للاستجابة لابتزازهم وضغوطهم، أملًا في اليوم الذي تتحول فيه لموظف دائم، وينتهي عذابك... أو هكذا تظن أيها الساذج!

أن تكون موظفًا مؤقتًا في مصر، يعني أن تعمل أكثر من الجميع، وتحصل على راتب أقل من الجميع، وحتى عندما تكون هناك زيادات سنوية لباقي زملائك، أو أرباح أو مكافآت، يكون كل ما تحصل عليه أنت هو مجرد وعود بأن وضعك سيتحسن كثيرًا عندما يتم تثبيتك، دون أي حديث محدد عن متى سيحدث ذلك! وعليك أن تصبر وتتحمل.

أن تكون موظفًا مؤقتًا في مصر، فهذا يعني أنك محروم من الإجازات بكل أنواعها، والتي يتمتع بها الموظفون الدائمون، وإذا اضطررت للتغيب في أحد الأيام لمرض أو ظرف طارئ، يتم خصم يوميتك من مرتبك الشهري الهزيل، وقد يصل الأمر لطردك أحيانًا.

أن تكون موظفًا مؤقتًا بمصر، يعني أن تعتاد على رؤية إعلانات

داخلية بمكان عملك عن رحلة مجانية أو بسعر مخفض، أو شقق للتمليك بالتقسيط بدون مقدم، أو عروض للتصييف أو الحج أو العمرة، وجميعها تنتهي بعبارة «العرض للموظفين الدائمين فقط».

وبعد سنوات من المرار الطافح حرفيًا كموظف مؤقت، لو مدّ الله في عمرك وصبرك إلى أن تتحول لموظف دائم، ستظن يا مسكين أنك قد وصلت أخيرا لبئر المياه العذبة التي ستروي عطشك بعد سنوات عجاف قضيتها تائهًا في صحراء الوحشة والعطش، لتكتشف عندئذ كم كنت ساذجًا تطارد سرابًا، وأن معاناتك قد دخلت في مستوى جديد، وأن كل ما سبق كان معظمه قائمًا على الحرب النفسية، فالفارق بينك وبين الموظف الدائم ليس حقيقيًا بالشكل الذي كانوا يصورونه لك!

الهروب من الوبـــــاء

غصة ومرارة رهيبتان تعصفان بنفس (أحلام) الحزينة المتصدعة كلما أصرّت ذاكرتها العنيدة على استعادة ما حدث، وأبى عقلها المؤذِ إلا أن يحلل الأمر من كل الزوايا وبلا توقف، رغم انتهاء الأمر كله منذ أشهرٍ طويلة.

نعم... انتهت قصة الحب الكبيرة بينها وبين خطيبها بالفراق، وإلغاء فكرة الزواج نهائيًا.

لكن ليس هذا هو المؤلم، بقدر الألم الذي يصنعه سبب انتهاء الحكاية نفسه، وبقدر ألمها كلما تذكرت مشاعرها عندما وقع الفراق فعليًا... عندما قال لها الحبيب: «لن أستطيع الحياة معك»... لقد شعرت عندئذ كمن تحرر أخيرًا من قيد حديدي صدئ لطالما أدمى يديه ورفض هو نفسه خلعه... شعرت كمن يتوجب عليه الاستدارة على الفور، والعدو بكل قوة في الاتجاه المضاد هربًا من وباء قاتل، كاد أن يفتك به وهو مستسلم له تمامًا، لولا أن أنقذته هذه العبارة.

عندما ألقى خطيبها بتصريحه، كان يلخص ببساطة ما اكتشفته هي منذ بداية الحديث الجاد عن ارتباطهما، لكنها رفضت دومًا الاستماع لصوت عقلها، وهو أنهما من المستحيل أن يتمكنا من التعايش معًا كزوج وزوجة، حتى لو قبلت هي ومضت في الأمر قُدمًا كمن يمشي على زجاج مكسور يسيّل الدم من قدميه في كل خطوة، وهو مُصرّ على مواصلة الطريق. كانت تعلم جيدًا أن من تحب لن يحاول في المقابل أن يخطو خطوة واحدة على ذلك

الزجاج المهشم ليلتقيها في منتصف الطريق.

الاختلاف الرهيب بينهما في الأفكار والمعتقدات وأسلوب الحياة والطموحات كانت على دراية كاملة به منذ البداية، ليس بداية الحب بالطبع، لكن بداية الحديث عن الزواج. ولذلك، لكنها لم تتخيل أبدًا عندما أصرّ الحبيب أخيرًا على تتويج حبهما بالزواج، إنه ينوي العمل جديًا على غسل مخها وسلخها فعليًا عن كل ما يشكل هويتها!

أما هي، فعندما وافقت على الزواج منه، كانت تعلم بالطبع في قرارة نفسها مدى صعوبة ذلك القرار، وأن تنفيذه أصعب... كانت تدرك أن النهاية المحتومة هي الفشل، والانفصال، لكن الأمر كان بالنسبة لها دومًا مساويًا لفكرة الزواج من شخص متوقع أن يفارق الحياة في أية لحظة لإصابته بمرض مميت. لو كان حبيبها - لا قدر الله - في مثل ذلك الوضع، لم تكن لتتردد لحظة في الزواج منه حتى مع علمها أنه زواج لن يدوم لأكثر من أشهر قليلة. لذلك فحتى لو كانت حياتهما معًا كزوجين لن تستمر، كان سيكفيها أن تزين دبلته الذهبية بنصر يدها اليسرى... أن تحمل اسمه ... أن تتذوق طعم حضنه وتشم أنفاسه ولو ليوم واحد أو حتى لمرة واحدة، ثم يظل من حقها الحديث عنه أمام أهلها وكل الناس، حتى ولو سبق اسمه لقب «زوجي السابق» أو «والد طفلي».

نعم كانت تحبه لهذه الدرجة، وبنفس الدرجة شعرت أنها لا تستطيع أن تغير من نفسها بشكل كامل لترضيه، ولا تقدر حتى على

التظاهر بالتغير، ثم الظهور على حقيقتها تدريجيًا بعد ذلك كما تفعل الكثيرات. كانت تشعر بسلام داخلي وتمتليء بثقة واعتزاز كبيرين بالنفس، لذلك كان ما يطلبه منها يعني أنه يطالبها بأن تصبح إنسانة أخرى غيرها... وهذا يعني أنه ربما لم يحبها هي بحق منذ البداية، بل أحب الصورة التي رسمها لها في خياله، وأراد منها أن تتطابق معها، لدرجة الحصار والإلحاح، والتعليق الدائم والانتقاد المستمر لكل حركاتها وسكناتها وتصرفاتها وأقوالها.

تحوّل الوقت الذي يقضيانه معًا بعد الخطوبة، إلى محاضرات طويلة مملة ومناقشات عقيمة وإهانات جارحة مستترة في صورة النصح والإرشاد.

ومع الضغط المستمر، أصبحت ردودها دومًا هجومية صادمة تمتليء إصرارًا على إنهاء المناقشة، وتأكيدًا على إنها هكذا ولن تتغير بالضغط أو الإلحاح، وعليه أن يتعلم التعايش معها أو يختار الانفصال وإنهاء الأمر كله. كان يتخلل ذلك توسلات لا نهاية لها بأن يتوقف عن التعامل معها بهذا الشكل الذي يضطرها للدفاع عن نفسها. كان يؤلمها أن تضطر لشحذ قوتها في مواجهته، وهو المفروض أن يكون من يحميها من كل ما يضرها ويؤلمها.

في الأيام الأخيرة لعلاقتهما، تكرر أكثر من مرة أن انهارت وسقطت على الأرض بلا حراك مع حالة بكاء هيستيرية تمتد لساعات، ورغم كل ذلك لم يطاوعها قلبها أبدًا على طلب الانفصال وفسخ الخطبة، حتى تحولت إلى كائن بائس ينتظر رصاصة

الرحمة ليفارق الحياة وتكف آلامه عن النخر في عظامه.

«لن أستطيع الحياة معكِ» ... كانت العبارة التي أطلقها هو كورقة ضغط أخيرة يعلم جيدا أنها لن تخيب، فهو يحبها بطريقته ولا يريد فراقها بحق، لكنه يصر على إخضاعها لإرادته، وظن أن هذه هي الطريقة الوحيدة بعد فشل الإقناع والإلحاح. لكنه لم يدرك كم العذاب والانهيار العصبي الذي وصلت هي إليه، لدرجة جعلتها تعتبر عبارته رصاصة الرحمة التي انتظرتها طويلا، وكارت الطرد الأحمر الذي عجزت هي تمامًا عن إخراجه له، لذا كانت صدمته عندما ردت عليه بهدوء: «نعم... أنا أوافقك تمامًا... رغم الحب الذي يجمعنا لن نستطيع الحياة معا ولن يجمعنا نصيب مشترك».

واستدارت مبتعدة، وهي تشعر نحوه بالامتنان... كانت تعلم جيدًا أنه سيتخذ بعقله القرار الصائب الذي عجزت هي تمامًا عن اتخاذه بقلبها.

وأسدل الستار..

لكن استمرت المرارة.

المجرمـــــــون

أحضرها والدها من الريف، وهي ما زالت في العاشرة من عمرها، لتعمل خادمة في أحد منازل الأثرياء بالقاهرة. لطالما ألح على زوجته المسكينة برغبته في إنجاب الولد، وأجبرها على الإنجاب المتكرر، وفي كل مرة كانت تأتي فتاة، ومرة بعد مرة أنهكت صحتها وضعفت، إلى أن توفاها الله. كان مجرد فلاح بسيط ورث نصف قيراط من الأرض عن والده، وحتى هذا لم يستطع الحفاظ عليه، فلم يرث عن والده حب العمل، فباع الأرض وأنفق منها على تسكعه هنا وهناك، إلى أن نفد المال. وحتى عندما حدث ذلك، لم يفكر في العمل، بل قاده فكره الشيطاني إلى تشغيل بناته الخمس في بيوت الأثرياء بالقاهرة، فيضرب عصفورين بحجر واحد: يتخلص من مسئولية الفتيات ونفقاتهن، فهو من كان لا يرغب بهن من الأساس، وكذلك يعيش كسلطانٍ من أموال عملهن بالمنازل.

لم تكبر على رعاية الأب وحنان الأم، بل كبرت على الذل والشقاء، لم تنم على فراش جميل ككل الأطفال، بل كانت تفترش أرض المطبخ في عز البرد، ولم تتعلم القراءة والكتابة ككل من هم في عمرها، بل تعلمت التنظيف والغسيل وشراء الخضروات، وطهي الطعام لأسيادها، ثم تناول بقاياه قبل أن تتكوم آخر الليل في أي ركن لتريح جسدها المكدود.

أصبحت في السابعة عشرة، وهي لا تعلم شيئًا عن أي شيء في الحياة، ثم طمع في جسدها ابن أسياد المنزل الذي عاد بعد انتهاء دراسته بالخارج، ونزع ما تبقى من إنسانيتها، وعندما ظهرت

عليها أعراض الحمل، تنكر لها، وهددها بالفضيحة وحدها لو تحدثت، فهي بغير سند يحميها، وأهله بالتأكيد سيقفون في صفه، وينكرون أي علاقة له بالأمر، وقد يسلمونها لوالدها لسوء أخلاقها، وعندها قد يقتلها.

لم يعاملها أحد طوال عمرها كإنسانة، ففقدت فطرتها، ولم تفكر إلا في كيفية النجاة بنفسها فقط، لذا رفضت عرض سيدها الصغير بالذهاب لإحدى العيادات المشبوهة لإجراء عملية إجهاض تخلصها من الجنين. لم يكن لخوفها أي علاقة بغريزة الأمومة من قريب أو بعيد، بل خوفًا على نفسها. فرغم إنها لا تفقه شيئًا، إلا إنها حكت سرها لإحدى زميلاتها الخادمات بالعمارة، والتي حذرتها من الإجهاض بهذا الشكل، لأنه يفقد الكثيرات حياتهن. ولأنها تريد أن تعيش، رفضت الإجهاض.

وحدثت نفسها: «ما يحدث لي الآن ليس أسوأ من كل ما مر بي من قبل، وسأتجاوزه، وأكمل حياتي». هي لا تعرف لها هدفًا في الحياة، لكن غريزة البقاء كانت بداخلها أقوى من كل شيء.

قبلت بالأموال القليلة التي ألقاها لها ابن أصحاب المنزل، وقبل افتضاح أمر حملها، أرسلت لوالدها تبلغه أن أهل المنزل سيصطحبونها معهم في سفر لعدة أشهر، وسيدفعون أجرها كاملًا عند عودتهم، وبذلك ضمنت أن والدها لن يأتي للبحث عنها طوال هذه الفترة، وفي الوقت نفسه، أبلغت أسياد المنزل بوجود ظروف طارئة في منزلها بالريف، تجبرها على العودة، وقد يطول الأمر،

لذا فهي تريد ترك العمل.

وسارت على الخطة التي رسمتها لها صديقتها الخادمة، والتي كانت شابة هرب منها زوجها وتركها معلقة، فلم تجد إلا العمل بالبيوت لتعيش. مكثت الخادمة الحامل في غرفة تستأجرها صديقتها، وأنفقت من المال الذي حصلت عليه، واختفت عن جميع الأنظار، إلى أن حان موعد الولادة، فأحضرت لها صديقتها قابلة عجوز من خارج الحي، وبعد يوم واحد من الولادة، كان عليها أن تتخلص من الوليد، الذي سيجلب لها العار، وقد يؤدي لفقدانها حياتها، في مجتمع لا يحاسب على الخطأ إلا المرأة، ولا يحسن الفتك إلا بها.

ولفّت الوليد في خرقة قديمة، وارتدت نقابًا حتى لا يستدل عليها أحد حتى لو رآها، وخرجت في الظلام.. وفي كوم قمامة خارج الحي ألقت به، وهي لا تشعر بأي مشاعر إنسانية إلا الرغبة في النجاة، وبمجرد أن بدأت في الابتعاد عن المكان، أحست أن عبئًا كبيرًا قد انزاح عن كاهلها، وأخذت تفكر أن عليها الآن الذهاب – كما خططت صديقتها – لإعادة عذريتها في مكان تتردد عليه الفتيات اللاتي وقعن في الخطأ، واستكمال الخطة بالعمل في منزل تاجر غني لا تنجب زوجته، والعمل على إغوائه، دون أن تمكنه منها، حتى يتزوجها، وتصبح سيدة المنزل. «لم أكن لأترك هذه الفرصة وأمنحها لك لولا أني للأسف متزوجة رسميًا، ولن تفلح الخطة معي، فلا تنسيني عندما يبتسم لك الحظ» هكذا قالت صديقتها.

شعرت أن الظروف كلها تخدمها، وسارت وهي تحلم بحياة سعيدة

ومريحة، بعد أن أصبحت أكثر وعيًا بما يحدث من حولها، وبعد أن تخلصت من «عبئها»، إلا أن سيارة مسرعة عبرت الطريق فجأة، فصدمتها وأنهت حياتها المزرية.

****

سمع أحد المارة بكاء رضيع وهو مار ليلًا في شارع خالٍ مظلم، وأخذ الصوت يعلو كلما اقترب الرجل من كوم القمامة الذي يكاد يسد الشارع، فأخرج هاتفه المحمول، وأشعل كشافه الضوئي، ورآه... وليد عار متسخ الجسد يصرخ وسط القمامة، فما كان منه إلا أن التقط له صورة بموبايله، ثم أسرع مغادرًا، وتركه يلاقي مصيره. وعلى حسابه على أحد مواقع التواصل الاجتماعي نشر صورة الوليد، وكتب تحتها... لقد انعدمت الرحمة في قلوب البشر، ما ذنب هذا المسكين!

****

أما (ابن الأسياد)، فقد نسي كل شيء عما حدث واستمر في حياته، و تزوج بعد بضع سنوات، من فتاة جميلة اختارتها له والدته، ولم يعرف أبدًا أن تلك الفتاة كانت على علاقة مشبوهة بأحدهم، وأجرت عملية لإعادة العذرية قبل الزواج منه، ثم عادت لعشيقها بعد الزواج... وبعد حوالي عام كان صاحبنا ينتظر بفارغ الصبر ميلاد طفل عشيق زوجته، وهو يظنه طفله الأول!

نبذة عن الكاتبة

علا سمير الشربيني كاتبة ومحررة ومترجمة ورسامة مصرية، ولدت في حي شبرا مصر بالقاهرة عام ١٩٧٨، وتخرجت في قسم اللغة الإيطالية بكلية الألسن – جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠، ثم حصلت على ديبلومة تمهيدي الماجستير في اللغويات الإيطالية عام ٢٠٠٣.

عملت في مهن مختلفة في بداية حياتها، منها تدريس اللغتين الإنجليزية والإيطالية والسكرتارية التنفيذية، والترجمة الحرة، وتعمل منذ عام ٢٠٠٨ كقائد فريق المترجمين والمحررين بواحدة من أكبر شركات المحتوى الإلكتروني في الشرق الأوسط (جودنيوز فورمي)، وكانت مسئولة لسنوات عن الصفحة الثقافية وصفحة أخبار السيارات بموقع gn4me.com ، بالإضافة لمساهمات أدبية متعددة بصفحة (ورقة بيضا) على الموقع نفسه، وشاركت لسنوات في كتابة المقالات الموجهة للمراهقين على موقع ياهوو مكتوب، كما تعمل منذ عام ٢٠٠٤ كمراجع لغوي ومعد برامج باللغة الإيطالية في الإذاعة المصرية.

لها مدونة إلكترونية منذ عام ٢٠٠٨، باسم الوردة البيضا، وعنوانها:

http://rosabianca2008.blogspot.com

وللمتابعة على فيس بوك:

www.facebook.com/Olasamirelsherbeny

ولأن الإنسان لا بد له من مواصلة التعلم وزيادة خبراته حتى

آخر لحظات حياته، أثقلت الكاتبة موهبة الرسم لديها بالدراسة في قسم الدراسات الحرة بكلية الفنون الجميلة، وفي مراكز فنية أخرى متنوعة، وشاركت بلوحاتها في معرض (انطلاقة) الفني بكلية الفنون الجميلة بالزمالك في أبريل ٢٠١٨، كما عرضت لوحاتها بسوق المنتجات اليدوية بالقرية الفرعونية بالجيزة في يونيو ٢٠١٨.

مؤلفات سابقة:

- (مدموزيل من فضلك) – مجموعة قصصية متنوعة